﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ دراسة بلاغيّة في ضوء علم التّناسُب

د. زينب بنت عبداللطيف كامل كردي
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ دراسة بلاغيّة في ضوء علم التّناسُب

د. زينب بنت عبداللطيف كامل كردي

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٩/ ١٠/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ١٧/ ١١/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدِّراسة بلاغة القرآن في نظم معجز، يستدعي التدبُّر بما يحمله من معاني التثبيت والطَّمأنة والتوجيه.

وانتظمت خُطّتها في تمهيد ومبحثين وخاتمة، عرض المبحث الأول تناسُب الآية مع السُّوَر التي تضمّنتها، وتناول التَّناسب مع كلٍّ من البُعد الزماني والمكاني، واسم السورة ومقصدها، وختامها مع مطلعها، وسياقها الكلي، وتناسب السياق النظمي للآية. وتناول المبحث الثاني دلالات اللفظ والنظم في الآية.

واعتمدت الدراسة على علم التّناسب مع المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، لتجلّية التناسب في الوَحدة السياقيَّة للنّظم المعجز.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، قرآن، تناسب، نظم، الصبر، حكم ربك.

"And be patient under the Judgement of your Lord"

A Rhetorical Study under Occasioning Science

Dr. Zainab Abdullatif Kurdi
Department Criticism and Islamic Approach to Literature – Faculty Arabic Language
Al-Imam Muhammad Ibn Saud university

Abstract:

This study addresses the rhetoric of the Holy Qur'an in a miraculous rhythm, calling for contemplation as it contains the meanings of stabilization, reassurance and guidance.

This study planning consists of an introduction, two topics and a conclusion. The first topic is entitled: The occasioning of the verse with the its surah, addressing such occasioning while taking into account the temporal and spatial dimensions, name and purpose of the surah, its end and beginning, overall context and rhythmic context of the verse. The second topic addresses the signs of the words and rhythm of the verse.

The study relied upon the science of occasioning with the semantic methodology associated with induction and analysis to manifest the occasioning in the contextual unity of the miraculous rhythm.

key words: Rhetoric, Holy Qur'an, rhythm, Patience, Allah's Judgement.

المقدّمة

الحمد لله الخالق الجبَّار الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ، ورغّبه في الصَّبر، ووعده بالمعيَّة والنَّصر، والصَّلاة والسَّلام على قدوة الصّابرين إمام المرسَلين، نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد؛ فالقرآن العظيم هداية البشريّة إلى الشمائل العليـّة، بتدبُّره وتطبيق مبادئه وأحكامه تستقيم النُّفوس المؤمنة، وتتجلّى المقاصد الرَّبانيـّة. ومِن ثمار تدبّره جاءت هذه الدِّراسة لتسلّط الضوء على بلاغة قول الله تعالى:﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ في ضوء علم التناسب؛ سعيًا إلى تدبُّر الهدايات الربّانيّة إلى الخلق القويم، وفتح الآفاق على بلاغة سياقه الفذّ في ألفاظه ونظمه، وتناسبه المعجز، قال الزركشيّ (٧٩٤هـ): « لو أُعطي العبد بكلِّ حرف من القرآن ألفَ فَهم؛ لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنّه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنّه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفَهم كلامه، وإنما يَفهم كلٌّ بمقدار ما يفتحُ الله عليه. وكلام الله غيرُ مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فَهمه فُهومٌ مُحدَثة مخلوقة»[(١)]. لكن يبقى التدبُّر شرفًا، تشرئبّ نحوه الأعناق على مرّ العصور متطلّعة إلى استشراف جانب من نوره وهداياته.

أهداف الدراسة:

تناولت الدراسة قول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ بدراسة بلاغيّة تناسُبيـّة؛ تسعى إلى تحقيق ما يأتي:

١. الكشف عن تناسب الآية موضع الدِّراسة مع سياق السور الثلاث

(١) البرهان في علوم القرآن : ٩/١ .

التي تضمّنتها.

٢. تدبُّر دلالات التخيّر للألفاظ والتراكيب في الآية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تناول آية عظيمة، تستشرف رحمة الله وعنايته برسله وأوليائه، وإرشادهم إلى ما يحقّق لهم أفضل السُّبل في الدَّعوة إلى الله، التي تقوم على فضيلة الصَّبر التي جعلها الله لنبيّه علاجًا روحيًّا تربويًّا اجتماعيًّا، يعينه على نوائب الحياة وهمومها، ويكفل تحقيق أنجع الوسائل للدَّعوة. كما يأتي تخصيص هذه الآية بالدِّراسة لكونها تكرّرت بالنَّظم نفسه في سور ثلاثٍ من المفصّل، مما يستدعي التدبُّر في سياقاتها، واستنباط أوجه التَّناسُب التي تصلها بسورها، وتحليل ألفاظها، وتدبُّر أسرار نظمها، ومدّ المتخصِّصين في بلاغة القرآن بموضوع يتناول عظَمة السِّياق القــرآنيّ، ويحفّز كلّ مسلم إلى استشراف آفاق بلاغة القرآن، مع الإسهام في التدبُّر الأمثل لآياته، وربطها بالتَّناسُب السِّياقيّ في إطار سورها، لإثراء المكتبة البلاغيّة القرآنيّة بموضوع يحرّك العقول نحو موضوع الصبر واستشراف المعاني والمقاصد التي ترتبط به في مجال التناسب القرآني.

مشكلة الدِّراسة:

تجيب الدِّراسة عن سؤال رئيس هو:

ما سمات البلاغة والتَّناسب التي تحقّقت في آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؟

ويتفرّع عنه التساؤلان الآتيان:

١. كيف تناسبت الآية مع سياقات السُّور الثلاث التي تضمَّنتها؟

٢.ما الدّلالات البلاغيَّة التي انطوى عليها تخيُّر الألفاظ ونظم الجمل في الآية؟

خطة الدراسة:

مما يلفت النظر ورود هذه الآية التي خوطب بها النبيّ الكريم ﷺ، في ثلاث سور من المفصّل؛ لذا اقتضت طبيعة الدراسة أن تنتظم في تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد شرح مفردات العنوان، بالحديث عن مفهوم علم التناسب وآيات الصبر في القرآن الكريم.

وجاء المبحث الأوّل بعنوان تناسُب الآية مع السُّور التي تضمّنتها، وتناول التناسُب حيث البُعد الزَّمانيّ والمكانيّ، وأسماء السُّور الثلاث ومقاصدها، وتناسب فاتحتها مع خاتمتها، والسِّياق الكلِّي لكلٍّ منها، والسِّياق النَّظمي للآية مع ما قبلها وما بعدها. وخُصِّص المبحث الثاني بدلالات تخير اللّفظ في الآية، وسمات النّظْم فيها.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على علم التّناسُب مع المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتَّحليل، بالنظر في سياق السُّوَر الثَّلاث التي وردت فيها الآية موضع الدِّراسة، وتتبُّع الآيات التي وردت فيها ألفاظها بما تنطوي عليه من دلالات لفظية ونظميّة متنوّعة، مع تصنيفها وصولاً إلى تحليل بلاغيّ ينصبّ على مقاربة تطبيقية، تجلّي التناسُب في الوَحدة السياقيَّة للنّظم المعجِز.

وبعد، فقد قصدت الإتقان ما استطعت، فإن تيسّر؛ فأحمد الله على نعمه، وما توفيقي إلاّ بالله! وإن تكن الأخرى؛ فحسبي ما بذلتُ من جهد، وأستغفر الله مما زلّ به القلم، أو ندّ به الفَهم.

والحمد لله في الأُولى والآخرة، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الصَّابرين الطَّاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

د.زينب بنت عبداللطيف كردي

١٠/ ١٠/ ١٤٤٣هـ

الرياض

التمهيد

إنّ المعرفة بارتباط كلِّ آية بالبنية الكُلِّيَّة للسُّورة التي تضمَّنتها، والعلاقات بين الآيات المتشابهة، والمعطيات السِّياقيّة لكلٍّ منها، والخيوط المعنويَّة التي تقوم عليها، وما تنطوي عليه من إعجاز التّناسُب في الوَحَدات السِّياقيّة التي حوت آيات الصبر.

من هنا تأتي مناسبة التمهيد لهذا البحث بالوقوف الموجز على علم التناسب ماهية وأهمّية، وعرض آيات الصبر في القرآن الكريم.

أولاً: مفهوم علم التناسب:

التناسب لُغة: أصل يدلّ على اتِّصال ومشاكَلة ومقارَبة(١)، ومنه النَّسَب، سمي لاتصاله والاتصال به، ويقال: نَسبه وينسِبه وينسُبه نسَبًا: عزاه. وناسبه بمعنى شاركه في نسبه، والمناسِب هو القريب. وليس بينهما مناسبة، أي مشاكَلة.

وعلم التناسب: هو علم يتناول ارتباط آي القرآن وسُوَره فيما بينها، ليجلّي اتّحاد أوّل كلّ منها بآخره في نظْم متلائم معجِز مكوّن من آيات وسور، تترابط فيما بينها مؤلّفة بناءً مُحكَمًا مُتماسكًا(٢)، يجلّيه مفهوم السُّورة، التي جاءت مناطًا للتحدِّي في القرآن الكريم.

ويذكر البقاعيّ (٨٨٥هـ) القيمة البلاغيّة في تفصيل القرآن إلى سور وآيات، بأنّ الشيء «إذا كان جنسًا، وجُعلت له أنواع، واشتملت أنواعه على أصناف؛ كان أحسن وأفخم لشأنه وأنبل، ولا سيَّما إذا تلاحقت الأشكال بغرابة الانتظام، وتجاوبت النَّظائر بحسن الالتيام، وتعانقت الأمثال بالتشابه في

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب : نسب .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١/٣٥ .

تمام الأحكام وجمال الإحكام، وذلك أيضًا أنشط للقارىء، وأعظم عنده لما يأخذه منه مسمًّى بآيات معدودة، أو سُورة معلومة، وغير ذلك»[1].

ثانيًا: آيات الصَّبر في القرآن:

ورد الصبر في القرآن في حوالي مئة موضع، واقترن بمقامات الإسلام والإيمان، واليقين والتَّقْوى والتَّوكُّل، والشُّكر والعمل الصَّالح والرَّحمة، وجاء الأمر به في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[البقرة]، والثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[البقرة]، والإخبار بإيجابه محبَّة الله كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾[آل عمران] ، وإبراز خيريّته كقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل]، والثناء على ما يمتلك أصحابه من مقومات الانتفاع بالآيات والعبر، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم:٥، ولقمان: ٣١، وسبأ: ١٩، والشورى: ٣٣]، وإبراز ما يستحقّه أهل الصَّبر من الإمامة والسَّبْق، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾[السجدة] ، والثناء على ما يتّصفون به من عزيمة كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى] .

ولكلّ هذه الفضائل الناتجة عن الصَّبر استحقّوا تلقّي البشائر من الله كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة]، والفوز بمعيَّته الخاصّة لهم بالحفظ والنَّصر، والتّأييد كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾[البقرة]، والفوز بالجنّة الذي نالوه بعد رحمة الله بالصّبر، كقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ

(١) نظم الدرر : ١/١٦٢-١٦٣ .

ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرعد]، والجزاء بأحسن العمل كقوله ﷻ: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [النحل]، والجزاء بغير حساب كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر] ، واكتساب الحظوظ العظيمة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾ [فصلت] (١).

«ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرَّأس من الجسد، ولا إيمانَ لمن لا صبرَ له، كما أنّه لا جسدَ لمن لا رأس له»(٢).

وبتطبيق معطيات التناسب الشاملة للكلّ والجزء في استشراف أبعاد الآية الكريمة موضع الدراسة: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ التي خوطب بها سيّد البشر ﷺ، يتبيّن ورودها في ثلاث سور ضمن سياقات كلّيّة ضمّتها، وظهر فيها تصريف القول في تناسب الآية مع سياقها، وما يتّصل بها من السابق واللاحق؛ لذا جاء التمهيد كاشفًا عن مفهوم علم التناسب والتنويه بقيمته، مع عرض موجز لآيات الصبر في القرآن، وفصّل مبحثًا الدراسة ما يحتاجه التحليل من جانبيه الرئيسين: التناسب الكُلّيّ مع السُّور التي ضمّت الآية، والدلالات الجزئية التي انطوى عليها تخيُّر اللفظ ونظم الجملة، ولكلّ من هذين الجانبين قيمته البلاغية في التدبّر.

(١) ينظر : مدارج السالكين : ٢/١٥١-١٥٢.

(٢) مدارج السالكين : ٢/١٥٢.

المبحث الأوَّل: تناسُب الآية مع السُّوَر التي تضمَّنتها

أوّل ما يواجه المتدبّر في آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ ما تشعّ به من توجيه ربّاني شفيق، يبثّ معاني التثبيت والمواساة والتسلية عن طريق الإرشاد إلى خليقة عظيمة، تحتاج النفوس البشرية معها إلى تربية وتعاهد وجهاد وصولاً إلى التسليم والرضى، ويتبدّى الإعجاز في تدبّر النظم المتكامل الذي يجلِّي نور البصيرة، ويرسم أضواء ما تنطوي عليه بلاغة الإرشاد الربانيّ الذي اختصّ به نبيّنا الكريم، بما يُظهر تناسبه مع سياقات السُّوَر الثلاث التي ضمَّته، ولاءمت معطيات عِدَّة جديرة بالنظر في تجلية سياق كلِّ سورة ورد فيها، مع ما يتعلَّق به من أبعاد التناسب المعجز؛ لذا سلِّط الضَّوء في هذا المبحث على جوانب تناسُب آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ مع السور التي وردت فيها، مصنّفة في خمسة عناصر فيها يأتي عرضها:

أوّلًا: التناسب مع البُعد الزمانيّ والمكانيّ:

هذه الآية مكّيَّة بالإجماع[1]، حيث وردت في ثلاث سور من طوال المفصّل، هي: الطور، والقلم، والإنسان. والمفصّل هو «ما يلي المثاني من قصار السُّوَر، سُمّي مفصّلاً لكثرة الفصول التي بين السور بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وقيل: لقلَّة المنسوخ فيه، وآخره: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس]»[2]. «أخرج الطبراني عن ابن مسعود نزل المفصّل بمكة؛ فمكثنا حِججًا

(١) ينظر : زاد المسير : ٤/١٧٥، ومصاعد النظر : ٣/ ٢٧-٢٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ١/٢٤٥ .

نقرؤه، لا ينزل غيره »[١].

والسورتان الأُولَيـان مكيَّتان إجماعًا، لكن اختُلف في الثالثة، بأنها مدنيَّة إلاّ آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان][٢]، ولعلّ كونها من المفصّل يرجّح كونها مكّية[٣].

ومن أولويات الخطاب في السُّوَر المكّيـَّة إبراز قضايا العقيدة الكُبرى من الإلهيَّة المطلَقة، والنبوَّة والبعث، ويلخِّص الشاطبيّ (٧٩٠هـ) الطابَع العامّ للسُّوَر المكّيـَّة سواء أطالت أم قصرت بأنها تقرِّر معنًى واحدًا هو الدعوة إلى عبادة الله، وتتضمّن إثبات ثلاثة أصول، أوّلها: الوّحدانيّة والإلهيّة المطلّقة للإله الحقّ، لا شريك له. والثاني: النبوَّة والرسالة للنبيّ محمد ﷺ. والثالث: وجود البعث والحساب والدّار الآخرة[٤]. وقد دارت السُّوَر الثلاث التي تضمَّنت آية الصَّبر حول هذه القضايا بإعجاز جليل في التَّصريف الّذي يجدِّد المعاني، ويتناسب مع خصوصيَّة كلِّ سورة.

ثانيًا: التناسب مع اسم السورة ومقصدها:

يدلّ أصل المقصد على أَمٍّ وتوجُّه واستقامة، ومنه يقال: أقصده السَّهم؛ إذا أمَّه، ولم يحِد عنه[٥]. والمعنى الاصطلاحيّ لمقصد السورة هو «الغرض العامّ

(١) الإتقان في علوم القرآن : ١/٧٠ .

(٢) ينظر : زاد المسير : ٤/١٧٥.

(٣) يظهر ذلك من اتفاق موضوعات كلٍّ منها مع موضوعات المكّي التي فُصِّلت ص٢٢ من هذا البحث .

(٤) ينظر : الموافقات : ٤/٢٧٠.

(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب : قصد.

الذي سيقت السورة من أجله، والهدف الكلّيّ الذي بُنيت على أساسه» [١].

ومما يبرز قيمة النّظر إلى مقاصد السُّوَر قول الشاطبيّ (٧٩٠هـ): «التدبّر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد» [٢]؛ فالمتأمّل في أسماء السُّوَر ومقاصدها يتبيّن له الارتباط الوثيق بينهما، مما يصعب معه فصل أحدهما عن الآخر. وفيما يأتي بيان للتناسب المعجز لآية ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ مع اسم كلِّ سورة وردت فيها، والمقصِد الذي انتظمت فيه آياتها:

١. سورة الطور: مقصدها تحقيق وقوع العذاب الذي جُعل جوابًا للقَسم بالطور، مع عرض الحجج والأدلَّة لردِّ شبهات المكذبين، وإرغامهم على التسليم، والإذعان لأمر الله[٣]. وجاء اسم السورة أدلّ ما يكون على المقصِد؛ فـ "الطور" اسم مشترك بين مطلَق الجبل، وبين المضاف إلى سيناء حيث نبوّة كليم الله عليه السلام، وإنزال كثير من آياته، التي هي أثبت وأمكن من الجبال التي جَعل الله دَكَّ بعضها آية على عظمته وإلهيَّته المطلّقة[٤]، ولتحقيق هذا المقصِد جاءت الدعوة إلى الصَّبر في آياتها بعد الوعيد بالعذاب في قول الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾، وتصوير حال الظَّلَمة، وهم يعاينون الأهوال حين يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾، وتوعُّدهم بعذاب يفوق ما جُبلت عليه نفوس البشر من التحمُّل والصبر في قوله تعالى: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ

(١) الوحدة السياقية للسورة : ٩١.

(٢) الموافقات : ٢٠٩/٤ .

(٣) ينظر : مصاعد النظر : ٢٧/٣ ، وعلم مقاصد السور : ٤٢.

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٢/١٩.

أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾، مع ذِكر الإمهال الإلهيّ في الدنيا الذي يستدعي من الرسول الأمين الصَّبر عليهم، والثَّبات في انتظار الجزاء العادل الذي يؤخِّره الله بحكمته إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .

٢. سورة القلم: مقصدها إظهار معالم الهداية، والثناء على النبيّ الكريم ﷺ بعظيم الخلق مع الدفاع عنه، والانتصار له، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾، كما ذمّ الكفرة بالخُلق الأثيم، وادّعاء العلم؛ مبيّنًا نماذجَ من وقاحة كبرائهم في تلقّي الوحي. قال تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾، وجاء الوعيد لكلّ مستكبر مكذّب بعذاب يفوق أشدّ ما عهده من العذاب الدنيويّ، كما في قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ لذا أرشد العليم الحكيم نبيّه إلى التحلي بالصبر، والامتثال لحكم الله، وانتظار موعوده، ودلّ اسمها ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ على هذا المقصد؛ فإبانة القلم عن المعارف، وإبرازه للحقائق أمر لا ينكر؛ لذا يحتاج الإنسان إلى الصبر لحكم مولاه[1].

٣. سورة الإنسان: مقصدها ترهيب الإنسان من الكفر، وتذكيره بأصله، والحكمة من خلقه ومآله في الدارين، ووصف العذاب المنتظَر للعصاة الذي يستدعي الصَّبر في انتظار الجزاء الأخرويّ العادل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾، مع إظهار نعيم الجنّة تسلية للنبيّ ﷺ، وتثبيتًا له وللمؤمنين، وتشويقًا له إلى ترقّب جزاء الصبر الذي فُصّل في خمس عشرة آية بدءًا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝

(١) ينظر : مصاعد النظر : ١١/٣ ، وعلم مقاصد السور : ٤٧ .

﴾[1]. ودلّ اسمها ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ على المقصد بتأمُّل آيات خلق الإنسان، والتفكُّر في مبدئه وغايته ومصيره الذي يرسمه الصبر[2].

وبذلك ظهر في السُّوَر الثّلاث التّناسب المعجز بين آية الصّبر واسم كلٍّ سورة من السُّور الثَّلاث التي تضمَّنتها ومقصدها، مما يرسم المعالم التي تمتاز بها الخصوصيَّة السِّياقيَّة داخل الإطار الكُلِّيّ للسُّورة.

ثالثًا: تناسب الختام مع المطلع:

تتناسب سور القرآن بطريقة بليغة، تتعاضد فيها ألفاظها ونظومها، ومعانيها ومقاصدها، من المطلع إلى الختام بتناسب معجز.

وتقع جملة: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ في صدر آية جاءت ضمن الختام في السُّوَر الثلاث لمواساة النَّبيّ ﷺ، وتثبيته وتسليته في صورة تكريم، لم يسبق لنبيٍّ، ولا لرسول أن نال تكريمًا مثله؛ لذا كان من المهمّ كشف هذا النوع من التناسب الذي يتمثّل في التآلف والتعانق بين مطلع كلّ سورة وختامهما، مما يظهر الوَحدة السِّياقيَّة التي تمتاز بها السُّوَر، فمع تنوّع موضوعات كلّ منها؛ إذا بها في الخاتمة تعود إلى المطلع مؤكِّدة وَحدة السِّياق التي هي مناط الإعجاز[3]، ويدخل هذا النّوع من التّناسُب ضمن ردّ العجز على الصَّدر[4]. وفيما يأتي

(١) ينظر : مصاعد النظر : ١٤٣/٣ ، وعلم مقاصد السور : ٥٠ .

(٢) ينظر : مصاعد النظر : ١٤٣/٣ .

(٣) ينظر : مراصد المطالع، من مقدمة المحقق أ.د.عبدالمحسن العسكر : ١٤ .

(٤) ينظر : البديع لابن المعتز : ٤٧، والإيضاح : ٥٤٣، ومراصد المطالع : ١٤ .

توضيح تناسُب الآية موضع الدِّراسة التي وردت في خواتيم السُّور الثلاث، وما ظهر في كلٍّ منها من التَّناسُب بينها وبين المطلع.

١. سورة الطُّور: ظهر تناسب مطلع السُّورة مع آية الصَّبر التي جاءت ضمن خاتمتها؛ فافتتحت السُّورة بقَسَم بخمس آيات عظيمة لتوحيد الله، وبراهينَ لقدرته وحكمته في البعث والجزاء[١]، نبّهت على قيمة جواب القسم الذي خوطب به النَّبيّ ﷺ، وسيق مساق التّسلية له[٢]، وهو تأكيد وقوع العذاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾، وتحقيق وعد الله ووعيده يوم القيامة الذي سيعاين الناس جميعًا أهواله[٣]، وجاء الختام في قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ۝٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾؛ داعيًا النَّبيّ ﷺ إلى أن يصبر على عناد قومه، وما يسوقون له من كيد. فهذا موقف أراده الله، وقضى به، ليبتلي ما في الصدور، وليمحِّص ما في القلوب مُطَمئنًا إيّاه، بأنّه ملحوظ بعينه، محفوف بعنايته[٤]، فسيق الخبر المؤكَّد لتسلية خاتم الأنبياء وطمأنته بأنّ ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، فالعذاب الأخروّي المقصود يتفوّق على كلّ عذاب مرّ به الإنسان، شاملاً عذاب الدُّنيا بالقتل والسَّبي والإخراج

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : ٨١٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٨٣/٢٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ١/١٩، وتيسير الكريم الرحمن : ٨١٣ .

(٤) ينظر : التفسير القرآني : ٥٨٠/١٤ .

من الدِّيار، ومعه عذاب البرزخ والقبر[١]. وعُطف عليه خطاب الأمر إلى النبيّ ﷺ بالصَّبر والثَّبات انتظارًا لأمر الحَكَم العدل، مع طمأنته إلى أنَّه محاط بعين الخبير ﷻ، محفوف بعنايته، مع دعوته إلى قرن الصَّبر بالتسبيح والصَّلاة تقوية لنفسه، وشكرًا لمولاه على تفضيله بالرِّسالة، ومنحه الرِّعاية الرَّبانيَّة التي تحفّه كلّ حين[٢]. «وفي الآية إثبات لصفة العينين لله تعالى بما يليق به، دون تشبيه بخلقه، أو تكييف لذاته، سبحانه وبحمده، كما ثبت ذلك بالسُّنّة، وأجمع عليه سلف الأمّة، واللَّفظ ورد هنا بصيغة الجمع للتعظيم» [٣].

٢. سورة القلم: ظهر تناسب المطلع مع الختام الذي أتت ضمنه آية الصّبر؛ حيث جاء جواب القسم في المطلع بنفي تهمة الجنون عن النبيّ ﷺ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ «للدفاع عن القرآن الكريم، وعن الرسول، وتتويجه بهذا التَّاج الرَّبانيّ الذي زيَّنه به الله ﷻ، بثنائه عليه، في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾»[٤]. وعاد سياق الختام إلى خطاب النبيّ ﷺ لتثبيته في موقفه، بقول الله تعالى: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۝٤٥ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ۝٤٦ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٤٧ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : ٨١٨ .
(٢) ينظر : التفسير القرآني : ٥٨١/١٤ .
(٣) التفسير الميسر : ٥٢٥/١ .
(٤) التفسير القرآني : ١١١٤/١٥ .

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ فبعد أن حذر الله نبيَّه ﷺ من المكذِّبين أوّل السورة، في قوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾، ونهاه عن طاعتهم؛ جاء الختام دعوةً إلى تفويض أمر أولئك المعاندين إلى الملك الحقّ ﷻ، والتحلّي بالصبر انتظارًا لحكمه ولقضائه، فهو وحده من سيدحرهم، ويكفي نبيّه كيدهم؛ فبدأ ختام السورة بقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾. ولما كانت فاتحة السُّورة بالنُّون الذي من مدلولاته الحوت، عُبِّر به في الختام تحقيقًا لإرادته[1]، بالدّعوة إلى الصَّبر، وترك طريقة صاحبه المنافية للصَّبر، التي تداركه ربّه معها بالعفو والنجاة لتسبيحه والتجائه إليه.

كما دافع الله عن نبيّه الكريم ﷺ، وردّ التُّهمة الفاجرة الظَّالمة التي انطلقت بها أفواه أعدائه، وعُرضت في أوّل السورة، في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾، فناسب في ختامها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ وجاء من قبيل ردّ العجز على الصَّدر[2]؛ حيث نفى عنه تهمة الجنون، ولفت الأنظار «إلى ما بين يديه من آيات القرآن الكريم، الذي هو ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، وحياة مجدّدة للناس جيلاً بعد جيل، وإنّه لا ذِكر، ولا قَدْر لمن فاته الاتّصال بهذا الكتاب، وتلقّى عنه، وقطع مسيرة الحياة في ظلّه»[3]؛

(١) نظم الدرر : ٣٣١/٢٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠٨/٢٩ .

(٣) التفسير القرآني : ١١٢١/١٥ .

ففي إيراد هذا الخبر المؤكَّد بالقصر في الختام «إبطال لقولهم: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾؛ لأنَّهم قالوه في سياق تكذيبهم بالقرآن؛ فإذا ثبت أنّ القرآن ﴿ذِكۡرٞ﴾؛ بطل أن يكون مبلِّغه مجنونًا»[1].

٣.سورة الإنسان: ظهر تناسب المطلع والختام في هذه السُّورة حيث بدأت بذكر «وجود الإنسان، ولَفتَته إلى أصل خلقه، وأين كان؟ وكيف بدأ؟ وإلى أين صار؟ »[2]. والنِّعم التي أنعمها الله عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾؛ إذ خلقه من عدَم، ورزقَه السَّمع والبصر، وكرّمه بمقومات الهداية إلى طريقي الخير والشرّ، ليمتاز الشَّاكر عن الكفور، ثم جاء الختام بالامتنان على النبيّ ﷺ بالاصطفاء لمقام النبوَّة، والتأييد بالقرآن العظيم على سائر البشر، مما يستوجب الشُّكر على تلك النِّعم، فدلّ الأمر ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على ضرورة الامتثال إلى ما يقضي به الحكم الرَّبّانيّ مقرونًا بالنهي عن طاعة المكّذبين والكفَرة على اختلاف أنواعهم، والاستعانة بالذِّكر والصَّلاة والتَّسبيح، في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ مع طمأنة الرَّسول الكريم ﷺ ببيان مصير من سلك طريقي (الشُّكر والكفر) المذكورَين في فاتحة السُّورة المرتبطَين بالهداية والاختيار، مع ربط المشيئة البشريَّة بالمشيئة الإلهيّة الصَّادرة عن العلم والحكمة والتدبير في قول الله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٩/١٠٩ .

(٢) التفسير القرآني : ١٥/١٣٨١ .

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾، وبثّ الطّمأنينة في النفوس بالمشيئة الربانيّة بما تحمله من معاني التربية والعناية التي يفيضها أرحم الراحمين على من يشاء من عباده: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾ مما يقوّي جانب الصَّبر على الدَّعوة، وترقّب الجزاء العادل لمن حاربها عاجلاً أو آجلاً؛ فـ«رجع هذا الآخِر المفصَّل إلى السعادة والشقاوة على أوّلها المؤذِن بأنّ الإنسان معتنًى به غاية الاعتناء، وأنه ما خلق إلّا للابتلاء؛ فهو إمّا كافرٌ مغضوب عليه، وإمّا شاكر منظور بعين الرِّضى إليه»[1].

وبذلك ظهر في السور الثلاث الارتباط الوثيق بين مطلع كلٍّ منها، والختام الذي جاءت ضمنه آية الصَّبر مما يجلّي إعجاز التّناسُب القرآنيّ الفذّ على مستوى السُّورة.

رابعًا: التناسب مع السِّياق الكُلِّيّ لموضوعات السُّورة:

تدور معاني السِّياق حول التّتابُع والتّوجُّه والاتّصال، فأصله من سَوق الإبل وقيادتها، ومنه أُطلق على سرد الكلام وتتابُعه[2]. ويُعرف في اصطلاح علماء الدّلالة بأنّه «علاقة البناء الكُلّيّ للنصّ بأيّ جزء من أجزائه»[3].

ويذكر الزركشيّ (٧٩٤هـ) أنّ دلالته «ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العامّ وتقييد المطلَق وتنوُّع الدلالة، وهو من

(١) نظم الدرر : ١٦٣/٢١ .

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب : سوق .

(٣) علم اللغة النظري : ٥٧ .

أعظم القرائن على مراد المتكلِّم»[1]. فلا غَروَ أن يُولى السِّياق هذه العناية لما له من أثر في توضيح المعاني والدّلالات، وتجليةٍ للملامح التي تمتاز بها كلُّ سورة عن غيرها؛ فهو «هادٍ إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة، بحسب موضعها الملائم لموضوع النَّصّ» [2].

ولكشف مواطن التَّناسب في السور الثَّلاث التي تضمَّنت قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ يحسن النَّظر في السِّياق الكلِّيّ الذي يحويها؛ فـ«السُّورة مهما تعدَّدت قضاياها؛ فهي كلام واحد يتعلّق آخره بأوّله، وأوّله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلّق الجمل بعضها ببعض في القضيّة الواحدة. ولا غنى لمتفهِّم نظم السُّورة عن استيفاء النَّظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضيَّة » [3].

وفيما يأتي بيانٌ لسياق كلِّ سورة من السُّوَر الثلاث التي وردت فيها آية الصبر موضع الدِّراسة، وضعتها في عناصر مرقَّمة لتتجلّى بها عناصر المقارنة السِّياقية فيما بينها:

١. سورة الطور: احتوى سياق هذه السورة على الموضوعات الآتية:

- مطلع قسَميّ على وقوع العذاب على المكذّبين (١-٨) .
- إنذار للمكذِّبين، وتبشير للمتَّقين (٩-٢٨).
- تثبيت للنَّبيِّ ﷺ، وحِجاج عقليّ مع المشركين (٢٩-٤٤).

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢/٢١٨.

(٢) قواعد التدبر الأمثل : ٣١٩.

(٣) إمعان النظر : ٢٤ .

- ختام يعود إلى الوعيد مع مزيد تثبيت للنبيّ، وتوجيه إلى الصَّبر والتّسبيح والصّلاة (٤٥-٤٩).

٢. **سورة القلم**: احتوى سياق هذه السورة على الموضوعات الآتية:

- مطلع بالحروف المقطَّعة والقسم على الثناء على النّبيّ ﷺ بعظيم الخلق، ونفي تهمة الجنون عنه، والتنويه بعِظم جزائه (١-٤).
- وعد للنّبيّ الأمين ووعيد للمكذبين، مع مقارنة بين الضالّين والمهتدين (٥-٤١).
- وصف لأهوال القيامة لتهديد الكافرين، وتثبيت سيّد المرسلين ﷺ (٤٢-٤٦)، فالله يستدرج المكذِّبين، ويملي لهم، ثم يكيدهم.
- ختام بمزيد تثبيت للنَّبيّ ﷺ بالدّعوة إلى الصّبر، وقَرنه بالتحذير من الوقوع في كَرب من قبيل كَرب يونس عليه السلام، لا يُدرى كيف يكون انفراجه [1]! مع نفي لتهمة الجنون التي وصفه بها قومه، ودفاع عن القرآن (٤٨-٥٢).

٣. **سورة الإنسان**: احتوى سياق هذه السورة على الموضوعات الآتية:

- مطلع استفهاميّ لتقرير امتنان الله على الإنسان بالإيجاد من العدم، ومنحه السّمع والبصر (١-٢).
- ترهيب وترغيب، بالمقابلة بين مصير كلٍّ من الكافر والشاكر (٣-٢٢)، والإطناب في مصير الشاكر.
- تثبيت للنَبيّ ﷺ، وأمر له بالصَّبر، وقرنُه بالتّحذير من طاعة الكفَّار،

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠٥/٢٩ .

والدَّعوة إلى الذِّكر والصَّلاة، وتحرّي أفضل الأوقات لهما (٢٣-٢٨).

- ختام بمزيد تثبيت للنّبيّ ﷺ وبيان لعاقبة الصَّبر، وتذكير بالجزاء الأمثل، ودعوة للبشر إلى اتخاذ السَّبيل المناسب، بالتَّأكيد على عاقبة كلٍّ من الشُّكر والكفر (٢٩-٣١).

ومما سبق يتبيّن السِّياق النَّظميّ لكلِّ سورة من السُّوَر الثلاث التي وردت فيها آية الصَّبر، والتشابُه العامّ، والخصوصيّة السِّياقيَّة النَّظمية للآية ضمن موضوعات السُّورة وتناسبها مع ما يطابقها من الأحوال والمقامات التي استدعتها، واستدعت تشكيل موضوعاتها على هذا النَّحو .

خامسًا: تناسب السِّياق النَّظميّ للآية بسابقه ولاحقه:

وردت هذه الآية بالواو في سورة الطُّور، وبالفاء في سورتي القلم والإنسان، ويحسن تسليط الضوء على السِّياق النَّظميّ الخاصّ بارتباط الآية بما قبلها، في كلّ آية مع سياق كلِّ واحدة من السُّور الثَّلاث:

١. سورة الطور: بدأ مقطع سياق الأمر بالصَّبر في السُّورة بعد بيان الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذِّبين بالنبوّة والقرآن والوَحدانيَّة، وعَلِم الله استنفاد نبيّه الكريم ﷺ وسائل التبليغ مع أولئك العُمي؛ فجاء أمره الإلهيّ بتركهم، وترقّب العقاب الأُخرويّ الذي سينزل بهم، مع التحلّي بالصّبر، قال تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ۝٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ ؛ ففُرّع أمر التَّرك ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ على ما سبق من فضح سخافة عقولهم؛ ليكون

في لفظه – الدالّ على قلّة الاعتداد بهم[١]– أعظم تسلية، يُترقّب معها الجزاء العدل يوم الفزع الأكبر؛ فهو تفريع للعلّة على المعلول؛ وقُرن أمر التَّرك بأمر الصَّبر ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ للترغيب في أداء الرِّسالة، والقيام بمهامّها الجليلة التي تقتضي تربيةً للنّفس اتباعًا لأمر الله في وسائل الدَّعوة؛ لكون مقام الإعراض عن الكفَّار أصعب من مقاساة إنذارهم بما ينشأ عنه من تكذيب واستهزاء، فالله وحده العالم بما يحتاجه طرفاها؛ وما يكتنفها من المصاعب والمشاقّ[٢] التي تستدعي التعليل بالفاء[٣]، «وماذا يُفعل بأهل الضلال غير أن يُتركوا لضلالهم، ولما يؤدّى بهم إليه هذا الضّلال من هلاك مُبير وبلاء عظيم بعد أن جاءتهم النُّذُر، وعُرضت عليهم المَـثُلاث، وقامت بين أيديهم الحجج؟ فليُتركوا، وما تمليه عليهم عقولُهم الفاسدة، وأهواؤهم المُهلِكة، واليوم الذي يُصعقون فيه»[٤]. وحين دعا الله نبيّه إلى الصَّبر علَّله بالوعد؛ لأنه بمحلّ العناية والكلاءة من الله؛ فطمأنه بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ فالله وحده العالم بما يلاقيه، وما يريدونه به[٥]. «وهذه الآية ينبغي أن يقرّرها كلّ مؤمن في نفسه، فإنها تفسح مضايق الدنيا»[٦]، فكم في التَّعليل وتأكيد الحفظ والرِّعاية الإلهيَّة من وعد ربّانيّ مُطَمئِنٍ؛ تتَّسق به الدَّعوة إلى

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة، والمفردات في غريب القرآن : وذر.

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٩/٣٧ .

(٣) ينظر : معترك الأقران : ١/١١٣، والجدول في إعراب القرآن : ٢٧/٣٥، وإعراب القرآن للدعاس : ٣/٢٧٤ .

(٤) التفسير القرآني : ١٤/٥٨٠ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٧/٨٣ .

(٦) المحرر الوجيز: ٥/١٩٤ .

الصّبر مع علّتها العظيمة بأن النّبيّ الكريم ﷺ بمرأى من الله، يحوطه ويحفظه؛ فلا يصل إليه من أراده بسوء من المشركين[1]مع التّذكير باستمداد المعونة من مولاه بالتّسبيح والصّلاة والدُّعاء مع تحرّي أرجى أوقات الإجابة.

٢. **سورة القلم**: بدأ مقطع سياق الأمر بالصَّبر في هذه السُّورة بعد سَوق الحجج والبراهين على تحقُّق الحساب والعذاب للمكذِّبين يوم القيامة، مقرونًا بتهديد المشركين، وتثبيت سيّد المرسلين ﷺ مع تجلية غرض الاستدراج من موعظتهم ووعيدهم، في قول الله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ فجاءت الفاء لتفريع الكلام المعطوف: ﴿فَذَرْنِي﴾ على ما قبله لتسلية الرسول ﷺ، وتثبيته بأنّ الله تكفّل بالانتصاف من المكذِّبين ونصره عليهم، حيث سيستدرجهم، ويُملي له في الدنيا، ويُنسئ في آجالهم؛ ليتمادَوا في الغيّ والطُّغيان، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون، وفرّع على أمر ترك المكذِّبين –المقيّد بوعد النُّصرة للنّبيّ ﷺ وإمهال الكفَرة بالعذاب– تثبيت آخر للنَّبيّ ﷺ يستلزم كمال التَّوكُّل على الله، وتفويض الأمر إليه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ بالحثِّ على المصابرة والاطمئنان إلى وعد الله بالنّصر له، والكيد للكفَرة، مع قرنه بالتَّحذير من نفاد الصّبر الذي قد يصيبه بكرب مثل كرب يونس عليه السلام

(١) ينظر : جامع البيان : ٤٨٨/٢٢ ، وتيسير الكريم الرحمن : ٨١٨ .

حين استعجل أمر ربّه، فوقع في محنته، وقاسى مصاعبها مُلتجئًا إلى ربّه لانفراجها، ثمّ اجتباه، وتاب عليه، وجعله من الصالحين[1]، ليتَّسق الأمر بالصّبر مع التحذير من الحال التي تنتج عن مفارقة الصّبر، وأخذ العظة والعبرة منها لترسيخ قيمة الجهاد والصّبر.

٣. سورة الإنسان: بدأ مقطع سياق الأمر بالصَّبر في هذه السُّورة بعد بيان مصير كلٍّ من الكفور والشَّاكر، باستئناف للانتقال من استيفاء الاستدلال على ثبوت البعث بالحجّة والتّرهيب والوعيد للكافرين، مع ثني عِنان الكلام، وتفريعه إلى تثبيت الرَّسول ﷺ والرّبط على قلبه؛ بتأكيد المدد الإلهيّ العظيم الذي اختصّ العظيم المنّان به نبيّه الكريم بتنزيل القرآن عليه، حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ وجاء التثبيت الإلهيّ للنبيّ الكريم؛ لئلاّ يلحقه غمّ من تصلُّب قومه في الكفر والتكذيب بما أُنزل عليه، وما نسبوه إليه من كِهانة وسحر، مما قد يوهن العزيمة البشريّة؛ فجاء التّأكيد باختصاص الله بعظمته وإلهيَّته المطلَقة بتنزيل الكتاب، ليتقرَّر في نفس الرسول ﷺ الاطمئنان إلى كنف المنزِل ﷻ والثِّقة بحكمته، وفُرّع على هذا الاستئناف أمر بالصَّبر طاعة للمُنزِل، وانقيادًا لأمره في إنفاذ مهامّ الرسالة وأعبائها، ومواجهة أذى المشركين فيها لتقوية الهمّة وشدّ العزيمة، مع النّهي عن طاعة أهل الضَّلال فيما يطلبونه من

(١) ينظر : جامع البيان : ٥٦١/٢٣، والتحرير والتنوير : ١٠٠/٢٩-١٠٥ .

أقوال تفضي إلى ارتكاب إثم أو كفر، فهم لا يأمرون إلاَّ بما يلائم صفاتهم[1]، وقد «كانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له، ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره، ويبذلون له أموالهم، وتزويج أكرم بناتهم؛ إن أجابهم»[2]، فاتّسقت الدّعوة إلى الصّبر باقترانها بتوجيهات ربَّانيّة متتالية، بُدئت بالنَّهي عن طاعة المشركين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾؛ لئلا ينخدع بإغراءاتهم، يليه أربعة أوامر بالمداومة على الذّكر ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾، والصّلاة والتّسبيح بتحرّي أوقات فضل كلٍّ منهما ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾، وكلّ هذه الأمور هي الأساس الذي يستعين به الإنسان على دحر شياطين الإنس والجنّ الذين ﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾؛ فليس في عقولهم المريضة تفكير في حساب الآخرة.

فالخلاصة التي تظهر من تدبُّر السِّياقات الثلاثة لآية الصَّبر وجود تناسب معجز تختصّ به كلّ آية مع سياقها مع اتِّفاق الآيات في مكيّتها، وما ظهر فيها من تناسب آية الصّبر مع اسم كلٍّ سورة ومقصدها الذي سيقت لأجله، وكذا اشتراكها في الوُرود ضمن ختام تلك السُّوَر الثلاث، وما ظهر فيها من التَّناسب بين الخواتيم وما اقترنت به من معانيَ تواءمت تواؤمًا معجزًا مع المطالع، فضلاً عمّا ظهر فيها من التَّناسب مع السِّياق الكُلّيّ لكلِّ سورة، وبلاغة تصريف القول في السياق النظمي السابق واللاحق الذي وردت فيه بما يناسب خصوصيّة كلٍّ منها.

---

(١) ينظر : الكشاف : ٦٧٤/٤، والتفسير الكبير للرازي : ٧٥٨/٣٠ .

(٢) الكشاف : ٦٧٤/٤ .

المبحث الثاني: دلالات اللَّفظ والنَّظم في الآية

تكشف دلالات التَّدبُّر للنظم القرآنيّ عن وجهين مهمَّين في البلاغة، هما: تخيّر اللَّفظ، ونظم الجملة، وبتدبُّر كلٍّ منهما يتجلّى الإعجاز البلاغيّ، وما يتعلّق به من مناسبات تتواءم مع أحواله ومقاماته التي جاءت السُّور الكريمة محقِّقة لمعطياتها، ومجلّية خصوصيتَّها. وفيما يأتي بيانُ أثر الدّلالات التي يحملها كلٌّ من اللَّفظ والنّظم في تحقيق الإعجاز البلاغيّ الفريد.

أولاً: دلالات تخيّر اللَّفظ :

يحمل اللَّفظ في نظمه قيمة دلاليـَّة كبيرة بالنَّظر إلى جهات ثلاث: معجميّة وصوتـيّة، وصرفيـّة، تمنحه أبعادًا معنويَّة قويَّة بمؤازرة إخوته في السِّياق.

وتمثِّل **الدّلالة المعجميَّة** المعنى الذي يُستقى من المعاجم، ويتضمّن دلالة المواضَعة للألفاظ، التي تُسمّى المعنى المركزيّ(١)، وتردّ الفروع إلى أصولها الاشتقاقيَّة؛ لأنَّها طريق تفرُّع الألفاظ، ونموّها من الجذر المعجميّ الواحد(٢).

وتضفي **الدّلالة الصّوتيـَّة** بُعدًا معنويًّا، ينقل رسالة اللَّفظ إلى العقول البشريّة لتفهمه بمعطياتها اللُّغويّة التّصويريّة. فاللّفظ لا يقتصر على دلالة مادِّية حَرْفيّة، بل يحمل معه دلالة تفسير عقليّة(٣).

وتشتمل **الدّلالة الصّرفيّة** على «الهيئات والصِّيَغ الواردة على المفردات

(١) دلالة الألفاظ : ٢١٣ .

(٢) ينظر : من الإعجاز اللغوي للقرآن : ٧ .

(٣) ينظر : أصوات اللغة : ٩٥، وأسس علم اللغة : ٣٨ .

الدالّة على المعاني المختلفة»[1]، فالصِّيغة الصَّرفيّة إذن هي: «البنية بحركاتها التي تحدِّد معناها، وتمكِّن من وزنها بأن توضَع في قالَب من قوالب الأبنيةِ المقرَّرة في اللُّغة»[2].

والمتأمّل في الموادّ اللُّغوية التي تألَّفت منها الآية الكريمة: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ يجد لكلّ لفظ منها دلالات معجميَّة وصوتيَّة وصرفيّة شكّلت أبعاده، وأعادته إلى جذر معيّن، يرسم أصل المادة من استعمالها المعجميّ، ومعطياتها الصَّوتيَّة، وصيغتها الصَّرفيّة؛ لتتضافر هذه الدّلالات الثلاث في رسم معالم أكثر وضوحًا في إبراز ماهيّتها وخصوصيَّتها، ومنع التباس المعاني المشارِكة لها في أصل الدّلالة المعجميَّة، أو المقارِبة لها في الدّلالة الصّوتيَّة، أو المشتقّة من الجذر نفسه، أو المتباينة عنه في الصِّياغة الصَّرفيَّة.

فالمفردة في اللُّغة العربيَّة تتضمّن بذاتها معنًى معجميًّا، وعند استعمالها تظهر قيمتها التعبيريّة بصورة أدقّ بسبب المقام الذي يضفي عليها أنواعًا من الدّلالات، ثم تأتي قيمة السِّياق في التعبير عن المعاني، وإبراز المقامات[3]. والمتدبّر في ألفاظ الآية الكريمة تظهر أمامه إشراقات تشعّ من تخيّر كلِّ لفظ من ألفاظها. وفيما يأتي عرضها:

١. دلالات لفظ ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ :

(١) من الإعجاز اللغوي للقرآن : ٧ .

(٢) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٢٥ .

(٣) ينظر : معجم فقه اللغة وخصائص العربية : ١٨١

تتجلّى الدّلالة المعجميّة لـ(صبر) في معاني الحبس، والعلوّ، والقوّة[١]، فالصَّبر: «حبس النَّفْس، وضبطها على مقاومة الهوى؛ لئلاّ تنقاد إلى شيء من قبائح اللَّذّات»[٢].

وتبرز الدّلالة الصوتيَّة بتأمُّل جذر (صبر) الذي يُلقي فيه حرف الصّاد بظلال صفاته من الإطباق والاستعلاء والصَّفير بما توحي به من معاني العِظم والقوَّة على خليقة الصّبر، وكأنما يبثّ حرف الباء بشدَّته وجهره، وانطباق الشّفتين فيه؛ ما يحتاجه الإنسان من كظم الغيظ في الصّبر، ويشير حرف الرّاء بما يحمله من صفات الجهر والتَّكرار والانفتاح والانحراف إلى المشقّة والشِّدَّة والتكلُّف الذي يحتاجه الإنسان لتحقيق هذه الصِّفة. وقد وردت مادة (صبر) في القرآن الكريم أكثر من مئة مرّة بصيغ صرفيّة متنوّعة من الأفعال بأزمنتها المختلفة (صبَر، يصبِر، اِصبِر)، وجاء منها الأمر بنوعيه المجرّد والمزيد بصيغ ثلاث: (افعَل، افتعِل وفاعِل)، (اصبِر واصطبِر وصابِر) ، فالمزيد يدلّ على المبالغة، وتحمُّل المشاقّ بصيغة الافتعال، وقوّة اجتماع صوتي الصّاد والطاء بما يحمله كلٌّ منهما من صفات الإطباق والاستعلاء والتَّفخيم، يتبعها قوّة يستدعيها المعنى بتكثيف الجهد البشريّ والمداومة عليه إعذارًا إلى الله؛ فورد الفعل ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ في ثلاثة مواضع، أوّلها: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾[مريم: ٦٥]، والثاني: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[طه: ١٣٢]، والثالث: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧﴾[القمر]، فجاء مناسبًا للخطاب في مرحلة

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة : صبر .

(٢) نظم الدرر : ٢١/١٥٤.

متقدِّمة بعد تَكرار الصَّبر، والحاجة إلى بذل جهد أكبر؛ فصيغته الصرفيَّة أبلغ في الدّلالة على التكلّف وتحمّل المشقّة، من الأمر بالصّبر بالفعل المجرّد ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ الذي يناسب سياق ترْك أولئك المكذبين بعد استنفاد وسائل الدَّعوة، وتفويض الأمر إلى الله. فثمّة فرقٌ بين الصِّيغتين الصَّرفيَّتين؛ فالاصطبار أقوى من الصّبر، لذا خوطب به النَّبيّ ﷺ في مقام الصَّبر على العبادة وتبليغ الدعوة؛ والأمر بحمل تكاليفها والإشعار بما في صعوبتها، مع تقويته، وتذكيره بما يحتاجه من الجهاد في أداء رسالته؛ لئلاّ يقلق من إبطاء الوحي واحتباسه، وإيذاء الكفَرة واستهزائهم(١)، وكذلك ورد الاصطبار فيما يحتاجه رسول الله ﷺ من الجهاد في الأمر بالصلاة، كما ورد الأمر بالاصطبار لنبيّ الله صالح عليه السلام للدّلالة على ما يحتاجه من صبر مضاعَف على التّكذيب، لا يعتريه ملل ولا ضجر على ما يواجهه من شدائدَ ومشاقّ(٢)، يحتاج معها إلى استشعار الأجر في الصَّبر لأجل عبادة الله وحده؛ فلا يضيق صدره من التكذيب والأذي، وشماتة المشركين(٣).

ووردت الدَّعوة إلى الصَّبر بصيغة المفاعَلة للدّلالة على المشقّة والتعاهد والمداومة، كما في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران]؛ ففي إيثار صيغة المفاعلة: ﴿وَصَابِرُواْ﴾ دلالة على الأمر ببذل جهد مضاعف في التمسّك بالصّبر على شدائد الحرب ومغالبة الأعداء الأصلاب؛ لئلاّ يكون المؤمنون أقلَّ صبرًا وثباتًا

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٤/٤، وأنوار التنزيل : ١٥/٤ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠٠/٢٧ .
(٣) ينظر : الكشاف : ٣٠/٣ .

من أعدائهم(١).

وكما ورد الصَّبر بصيغة الأفعال بأنواعها جاء ببناء صرفيّ اسميّ، تدلّ صيغته الاسميّة المصدريّة على الثبات الذي ينشأ عن خليقة الصّبر، كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وورد منه الأسماء المشتقّة، ومنها اسم الفاعل كما في قوله تعالى في وصف صبر أيّوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ [ص] وكذا ورد لفظ الصّبر مقترنًا بالشّكر بصيغة المبالغة بنظم واحد اشتركت فيه أربع سور، هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم: ٥، ولقمان: ٣١، وسبأ: ١٩، والشورى:٣٣]، كما جاء بصيغة التّعجُّب للدّلالة على صبر مذموم، يتّصف به الذين يكتمون الكتاب، ويشترون به ثمنًا قليلاً؛ حيث تعجّب الله من حالهم بقوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ١٧٥].

فأصل المعنى يمكن الدّلالة عليه بأكثر من صيغة، لكنّ الأمر الذي خُصّ به نبيّنا الكريم ﷺ في ترقّب حكم الله عز وجل في أولئك المشركين، وردَ بصيغة فعل الأمر المجرّد ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ للدّلالة على السّكينة التي تنتاب نفسه العظيمة، وهي تتلقّى الأمر عن ربٍّ عليم بحال رسوله الكريم ﷺ وحال قومه، والأسلوب الذي يحتاجه للتعامل معهم؛ فتنساب معه الرَّغبة والطُّمأنينة في النَّفس للامتثال إلى الصَّبر مع اليقين بما يتبعه من الخيريّة التي يقدّرها الله؛ لذا لم يحتج إلى زيادة في مبناه نحو: اصطبر أو صابر، أو كن صابرًا، أو صبورًا لحكم ربّك، فالمراد مجرّد

(١) مدارك التنزيل : ٣٢٥/١ .

الدّعوة إلى الصَّبر الذي توقن النَّفس بخيريّته؛ فلا تحتاج معه إلاّ إلى التّسليم، وترقُّب الفرج.

وصيغة الأمر في أصل وضعها تدلّ على عمل يُطلب إنشاؤه في المستقبل، وهو مختصّ بالفاعل المخاطَب من الفعل المعلوم، فهي «صيغة تستدعي الفعل، أو قول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[١]. وجاءت صيغة الأمر في هذا السِّياق للدّلالة على الإرشاد الربّانيّ من الله لنبيّه الكريم بما يكون به نجاح دعوته باستمداد خطّتها من حكمة ربّ العالمين الخبير بما يصلح للدّعوة، وبما يعالج النفوسَ المناوئةَ لها، وفي إيثار فعل الأمر الذي يستتر فيه الفاعل وجوبًا إيجاز بليغ؛ لكون الخطاب في القرآن موجّه إلى النبيّ ﷺ، ففيه دلالة على القرب ووضوح المعرفة والعموم؛ إذ يمكن أن ينطبق على كلّ من يدعو إلى الله؛ فهو محتاج إلى التذكير بالصبر؛ اتباعًا لسبيل ربّه في الدعوة بالحكمة، وانتظار نصرة ربّه ﷻ؛ إذ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب[٢].

٢. دلالات لفظ (حُكْم):

تدور الدّلالة المعجميّة لمادة (حكم) حول معاني المنع والقطع والفصل[٣]، فـ «الحُكم هو الفصل والبتّ، والقطع على الإطلاق، وحكم بينهم، وله وعليه: أي قضى، والحُكم أعمّ من الحِكمة، وكلّ حِكمة حُكْم،

---

(١) الطراز : ٣/١٥٥ .

(٢) ينظر : الإتقان : ١/١١٠.

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة : حكم .

وليس كلّ حُكم حِكمة، والحُكم في العُرف: إسناد أمر إلى آخر إيجابًا أو سلبًا »[1]. كما أنّ دلالاته على المنع، واشتقاقه من الحِكمة، فيه مزيد تثبيت للنَّبيّ ﷺ، وفي لفظه وجهان: أوّلهما: قضاء الله فيما فرض على نبيّه من أمانة التبليغ، والآخر: البلاء فيما ابتلاه به من تكذيب قومه[2].

وسُميّت مَهمّة الرّسالة الإلهيَّة حُكمًا؛ لأنَّه «لا خِيرة للمرسَل في قَبولها، والاضطلاع بأمورها، ولأنّ ما يحفّ بها من مصاعب إصلاح الأُمّة، وحملها على ما فيه خيرها في العاجل والآجل، وتلقّي أصناف الأذى في خلال ذلك حتى يتمّ ما أمر الله به، كالحكم على الرسول بقَبول ما يبلُغ منتهى الطَّاقة إلى أجل معيَّن عند الله »[3].

ومن حيث الدّلالة الصوتيَّة يظهر فيها صوت الحاء الحلقيّ المهموس المستفِل الرّخو، يليه الكاف بصوت الشِّدَّة مع انحباس النَّفَس في أوّله، وصوت الهمس مع جريان النفَس في آخره، يعضدهما حرف الميم المتوسِّط، الذي يخرج من انطباق الشَّفتين؛ ليُوحيَ اجتماع هذه الأصوات بما في الحُكم من خفاء، يحمل معه شِدّة، قد يصحبها انفراج وألطاف، تخفى على المحكوم عليه، ولا يدرك كنهها، ولا يعي أبعاد الفوائد التي تحملها.

ووردت مادة (حكم) في القرآن بمعني الفصل في القضاء (حوالي ٩٦ مرة)، فجاءت الدّلالتان المعجميّة والصَّوتيـّة مناسبتين للمعنى المقصود بخلاف

(١) الكليات : حكم .

(٢) ينظر : النكت والعيون : ٣٨٧/٥ .

(٣) التحرير والتنوير :٤٠٣/٢٩.

ما لو قيل: لأمر ربّك، أو لعدله، أو لقِسطه، أو لإمهالِه، أو لقضائه. فحين أراد الله أن يسلّي قلب نبيّه، ويثبّته اصطفى لخطابه أوفى الأوصاف، وأكملها وأشملها، وهو (حُكم)، مع ما يدلّ عليه من معاني الحِكمة كون الحُكم مسنَدًا إلى ربّه، وهو أحكم الحاكمين. وفي دلالته الصوتيـّة التي تجمع بين حرفي الهمس الحاء والكاف ما يوحي بمعنى المواساة أيضًا، وأوثر له الصّيغة الصرفيَّة بلفظ المفرد دون الجمع (أحكام)؛ ليحمل في طواياه دلالات فصلٍ قضائيّ، وشمول كونيّ بإيجاز لفظيٍّ واتّساع معنويّ.

ووردت مادة (حكم) بصيغة الفعل بأنواعه المختلفة، (حكَم، تحكم، يحكم، احكم) ومن ذلك صيغة الماضي: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨﴾، وصيغة المضارع: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩، وغافر: ٤٨]، وصيغة الأمر لغرض الدعاء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾[الأنبياء]، وصيغة الاسم: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾[الأنعام:١١٤]، وبالمشتقّات من أفعل التفضيل واسم الفاعل: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين]، ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١﴾[الرعد] .

ففي مجيئه في سياق الدّعوة إلى الصّبر: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بصيغة الاسم دون الفعل دلالة على الثبوت؛ فهو حكم ثابت، سيتحقق بأمر خير الحاكمين ﷻ في الوقت المقرَّر له، بما يحمله من الخير للنَّبيّ الكريم ﷺ؛ فموضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشَّيءِ من غيرِ أن يَقتَضي تجدُّده، أمّا الفعلُ فموضوعُه

أن يقتضيَ تَجدُّدَ المعنى المُثبَت به شيئًا بعْدَ شيء[١].

وجعل ابن النّقيب (٦٩٨هـ) لفظ (الحكم) من المجاز بإطلاق الاسم على المحكوم به؛ فالمراد: فاصبر لما حكم الله به عليك، فتُجوّز بالحكم على متعلّقه المحكوم به[٢]، ولهذا الاستعمال المجازيّ أثر على اللُّغة؛ فـ «المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتّساع في الكلام، وكثرة معاني الألفاظ؛ ليكثر الالتذاذ بها، فإنّ كلّ معنًى للنَّفس به لذّة، ولها إلى فَهمه ارتياح وصَبوة، وكلَّما دقّ المعنى رقّ مشربه، وعظُم به اغتباطه »[٣].

فاستعمال هذا اللَّفظ هو من المجازات التي كثُرت في اللُّغة حتى أصبحت ضمن الحقائق فيها، لكنّ التأمُّل العميق يُبرز أبعاد المعنى، فيتَّضح معه التمييز بين الحقيقة والمجاز بإيجازه وعمق معناه.

كما عُبّر بلفظ المصدر (حُكم) دون الجمع (أحكام)؛ لأنّ حكم الله واحد، ينطلق من الحِكمة والقضاء العدل الذي يفصل بين المتخاصمين: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾[الرعد:٤١].

٣.دلالات لفظ (ربّك):

يدلّ لفظ (ربّ) على الإصلاح والإقامة والملازمة[٤].فالرُّبوبيَّة إقامة المربوب بما خُلق له، وأريد منه، فرَبّ كلّ شيء مُقيمُه بحسب ما أبداه وجودُه، فرَبّ المؤمن ربّاه للإيمان، ورَبّ الكافر ربَّاه للكفران، وربّ محمّد ربّاه للحَمد،

(١) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٧٤ .

(٢) ينظر : مقدمة تفسير ابن النقيب : ٣١-٣٢ .

(٣) مقدمة تفسير ابن النقيب : ٣١-٣٢ .

(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة : رب .

وربّ العالمين ربّي كلَّ عالَمٍ لما خُلق له [1]. وتقتضي الرُّبوبية الحكم والقدرة فـ « ربّ كلّ شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن رُبوبيَّته » [2]. وفي ورود صفة الرَّبِّ -دون غيرها من الصِّفات نحو السيّد أو الجبَّار- إيماء إلى معنى المالكيَّة والتربية، واستحقاقه أن يُتَّقَى[3]؛ لينبعث الرَّجاء في النَّفس الإنسانيَّة.

وقد وردت صفة (ربّ) مضافة إلى كاف الخطاب (حوالي مائتي مرة)، متضمِّنة الخطاب العامّ لغير معيَّن، أو الخطاب الموجَّه للنّبيّ ﷺ من الله ﷻ نحو: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾للدلالة على معاني الاختصاص والولاء والتّربية؛ مما يحيط الموقف بالرِّعاية والتَّكريم والأمان، وأُضيف اسم الرَّبِّ ﷻ إلى ضمير الخطاب الموجَّه إلى النبيّ ﷺ تلطُّفًا وتكريمًا، وإشعارًا بمعنى التَّربية بالتَّدبير والإنعام[4].

فالخلاصة في تخيّر الألفاظ التي تألّفت منها الآية الكريمة: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ أنّ لكلّ لفظ منها دلالات مُعجميَّة وصوتيَّة وصرفيّة كشفت آفاقه، وتآزرت مجتمعة في رسم ملامحَ أكثرَ وضوحًا وخصوصيّة، تتجلّى معالمها أكثر بتدبُّر دلالات النَّظم.

ثانيًا: دلالات النظم:

تتآخى الكلمات، وتتّسق العبارات، ويتجلّى الإحكام والإبداع في نَظْم البيان الإلهيّ المعجِز، وما وصل إليه من تأليف بين الكلمات، لتكون كلّ كلمة

(١) ينظر : نظم الدرر : ٢٦٠/١ .

(٢) مدارج السالكين : ٥٨/١.

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣٦٥/٤ ، والتحرير والتنوير : ١٣٦/٢٧ .

(٤) ينظر : النهج الأسمى : ٤٧/٢ .

لِفقًا مع أختها، نسجت لتكمل صورة النظم، وتوحِّد غايته ومقاصده؛ لتأتيَ المعاني مؤتلفة مع الألفاظ، في تآخٍ وتآزُر ظاهر؛ فكأن الألفاظ قُطِّعت لها، وصيغت على حجمها (١).

وفي تنوّع النَّظْم القرآنيّ المعجز، ومجيئه بسياقات متعدِّدة متباينة يظهر التناسب الفذّ في كلّ سياق بما تحمله طريقة نظمه وتركيبه من معانيَ، وما تحقِّقه من أغراض بلاغية، فقد جاء الأمر بالصَّبر لازمًا مقيَّدًا بزمن: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ١٠٩] ، أو بالقول مع حرف الاستعلاء: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠]، أو متعديًا إلى النَّفس، ومقيَّدًا بفئة وزمن، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[الكهف: ٢٨]، أو مطلقًا: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[النحل: ١٢٧]، أو مقيَّدًا بالعبادة متعلِّقًا باللام للدّلالة على استشعار الخير، واختصاص علاّم الغيوب بما يكون خيرًا لعبده.

وهكذا تتباين النظوم؛ ليتناسب كلٌّ منها مع المقاصد الربّانيّة المعجِزة المنطوية على أغراض بلاغيّة متعدِّدة، تنساب بكل معطياتها ومتعلّقاتها، وقيمها الخُلُقيّة التَّربويّة لتؤدّي مهمّة جليلة، تتواءم مع خصوصيَّة نَظْمها. وفيما يأتي عرض أبرز سمات النَّظْم المعجِز في هذه الآية:

١. دلالات الإنشاء الطَّلبيّ:

أُسند الصَّبر إلى النَّبيّ ﷺ بضمير الخطاب، بفعل الأمر (اصبر) الذي ورد بهذا النَّظْم المعجِز في سياقاته الثلاثة بدلالة الإنشاء الطَّلبيّ التي «تأخذ منعطَفًا

(١) ينظر : المعجزة الكبرى : ٧٢ .

غير الذي يتبادر إلى الأذهان في الوهلة الأُولى، ألا وهو الملاطفة، والتهيئة لحمل أعباء الرسالة»[1]. ففي صيغة الأمر التي جاء بها الفعل (اصبر) من العطف والحنان والملاطفة، والتثبيت الربّانيّ لسيّد البشر ما فيها! فهي تقصد إلى توجيه النبيّ الكريم ﷺ إلى سلوك معيّن له قيمته في الاستجابة للأمر الإلهيّ.

والأمر أسلوب نابض بالإثارة، قادر على تحريك الوجدان، وإحداث انفعال ومشاركةٍ في الإحساس بموضوع الطلب، واستكناهٍ لجوانب الفائدة فيه بنفسه[2]؛ فالصّبر فضيلة مهمّة لها أثرها في تحمّل أعباء الرِّسالة، والاستجابة لما فيها من تكاليف ربَّانيَّة، ولفظ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ في هذا السياق يدلّ على معناه، مع ما ينطوي عليه من العواقب والتشريف، وتقوية العزيمة للدخول في زُمرة أولي العزم من الرُّسل، فبتآزره مع سياقها يحمل هذه الدّلالات العظيمة التي يشملها المعنى وتتداعى معها إلى الذهن دلالات نظمّيّة من الآيات التي وردت بالدعوة إليه؛ فلا يمكن أن يشاركه فيها أيّ لفظ يحمل بعض دلالاته الجزئيّة نحو: (وانتظر)، أو (ارتقب حكم ربك)؛ حيث تضمَّنت الآية أمرًا موجَّهًا إلى سيّد البشر بالصّبر.

وبتأمّل أبعاد نظمها يتبيّن المعنى العامّ الذي تتضمّنه، وهو توجيه الأمر للنبيّ ﷺ بالصبر لحكم الرّبّ، «وأكثرَ القرآنُ من أمر الرسول ﷺ بالصّبر، وهو خليقة أولي العزم من الرسل فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾[الأحقاف: ٣٥]. وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨].

(١) التوجيه الدلالي في القرآن الكريم : ١٣ .

(٢) ينظر : الحِجاج في الشعر العربي القديم : ١٤٩ – ١٥٣ .

وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[النحل: ١٢٧] ، وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ [المزمل] إلى غير ذلك من كثير الآيات التي تدعو الرّسول إلى الصّبر، وتحثّه عليه، ولا ريب أنّ دعوة دينيّة جديدة، تتطلّب زادًا، لا ينفد من الصبر على المكروه حتى تنجحَ، وتؤتِيَ ثمارَها»[١].

ويأتي الأمر للنُّصح والإرشاد إذا تضمَّن نصيحة، لم تكن على وجه الإلزام، كما في الأمر بالصبر في نصيحة لقمان لابنه في قول الله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان] ، وبهذا ينطوي أسلوب الإنشاء الطّلبيّ في هذه الآية على قيمة تخاطُبيَّة مهمّة، تتبدّى في إرشاد النَّبيّ ﷺ إلى قيمة الصَّبر بالبَدء بها، وتمكينها من نفسه، كما سيظهر هذا في العنصر الثاني من دلالات النَّظْم.

٢. دلالات التَّقديم والتّأخير:

اشتدّت العناية في سياق هذه الآية في السُّور الثلاث بالصّبر؛ فقدِّم وَفْق النّسق الأصليّ للجملة؛ بالدّعوة إلى التمسُّك به، والإعراض عن المكذِّبين؛ فناسبها إثارة الوجدان لتحقيق معاني الصبر المناسِبة للنهوض بتكاليف الرِّسالة وأعبائها، وبلوغ المكانة العالية مع أولي العزم من الرُّسل بامتثال أمر الله، والتحلّي بالصَّبر في سبيل الدَّعوة، وترقُّب الحُكم الربّانيّ العادل بالنُّصرة للنبيّ ﷺ والهزيمة لأعدائه، فالإعراض عن أولئك المكذِّبين، والصَّبر عليهم مقتضٍ لتحمّلهم ثقةً بحكم الله له؛ فلذلك قدِّم الأمر به: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾، وأُخِّر الحُكم متعلِّقًا باللام: ﴿لِحُكۡمِ﴾ إشارة إلى أنّ الحكم سيكون بالنَّصر والتأييد له، وإيقاع العذاب على

(١) من بلاغة القرآن: ٢١٢-٢١٣ .

المكذِّبين. وبذلك يكتسب تقديم فعل الأمر في هذه الآية قيمة خِطابيّة تواصليّة دلاليّة، تتمثّل في الإرشاد إلى الصّبر، وتمكينه في ذهن المخاطَب من جهة، وهو النَّبيّ ﷺ؛ لذا تقدّم الفعل مسندًا إلى النّبيّ الكريم ﷺ من ربّه العليم بحاله وحال أعدائه؛ ليتحقّق من تقديمه عناية باستثارة الوجدان حول ما تضمّنه من الخيريّة المرتقَبة، التي تلازم الإرشادات الربّانية، المقترِنة بما يتعلّق بها من السِّياقات الثلاثة، مع تمكين اختصاص عاقبتها بالنَّبيّ ﷺ، بما تحمله من تثبيت وتسلية بالنصر والتأييد. بينما أخّر الأمر بالصّبر، وقدِّم متعلّقه في قول الله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾[المدثر]؛ لتخصيصه بالرَّبّ بصورة أعمّ من ترقُّب الحكم؛ فتَبِع اختلاف السِّياق والغرض تغايُر في النّظم بتصريف القول تقديمًا وتأخيرًا لمناسبة المقاصد والمقامات، فسياق آية المدثّر جاء للإنذار الناشيء عنه غاية الأذى؛ فالعناية فيها موجّهة لاستحضار قيمة الصّبر ونيّته ونتيجته، وتحمّل الأذى في سبيله؛ لذا قُدِّم فيها ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ (١).

٣. دلالات الإطلاق والتقييد:

قيِّد الصبر في آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بأنه لحكم الرَّبّ، فـ «هو المريد لذلك، ولو لم يرده؛ لم يكن شيء منه، فهو إحسان منه، وتدريب وترقية في معارج الحكم»(٢). لكنّ حكم الربّ جاء مطلَقًا متضمِّنًا كلّ ما يأتي منه ﷻ دون تقييد بشيء نحو الإمهال، أو التعجيل، أو هزيمة المكذبين، فناسب تقييد الصّبر بحكم الربّ إثارة معاني الإيمان واليقين والتسليم بما يَحكم به، وناسب

(١) ينظر : نظم الدرر : ١٩/٣٧ .

(٢) السابق : ١٩/ ٣٧-٣٨ .

الإطلاق البسْط في الكلام، والإيجاز اللفظيّ مع الاتّساع المعنويّ بتضمّن كلّ ما يصدر عن الله من الحكم بالرضى والتسليم، بخلاف بعض الآيات التي ورد فيها الصّبر مطلقًا نحو قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ، أو مقيّدًا بما أصابه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان] ، أو مقيّدًا بتحمُّل استهزاء المكذِبين واتهاماتهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل] .

ومن مجموع هذه الآيات يُستمدّ الصبر، ويتلقّى النبيّ الكريم ﷺ إرشاد مولاه بثقة من مصدره، وتسليم مطلَق بكلّ ما يأتي به، ودلّ تقييد (حُكم) بالإضافة إلى ﴿رَبِّكَ﴾، ووجوده في سياق التثبيت على معاني الإمهال وتأخير نُصرة النَّبيّ الكريم عليهم(١). أو تأخير الإذن في القتال نحو قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧﴾[الأعراف]، أو عموم التكاليف التي تفرض على البشر –وأوّلهم النبيّ الكريم ﷺ– سواء أتكليفًا خاصًّا به من العبادات والطاعات كان أم تكليفًا متعلِّقًا بغيره من البشر، وهو التبليغ وأداء الرسالة، وتحمُّل المشاقّ الناشئة عن ذلك (٢).

ففي إطلاق الحكم في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾، وترك امتدادات الإبانة والتفصيل « إدخالُ المتلقّي في مساحة صُنع المعنى، وإصدار جملة من

(١) ينظر : الكشاف : ٥٩٦/٤ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٧٥٨/٣٠ .

التوقُّعات؛ يذهب بها ذهنه مذاهبَ شتّى»[1]، ليدلّ على الدّعوة إلى صبر وتسليم عامٍّ مطلَق، ينشأ عن ثقة بالإلهيَّة المهيمنة المطلَقة مع يقين بالربوبيّة، وما تقتضيه من العناية.

٤. دلالات التعريف:

التعريف والتنكير من أساليب إبراز المعنى، ويدلّ التنكير على شيء غير معيَّن مما شاع في جنسه، بينما يعيّن التعريف واحدًا من الجنس، لا يتناول غيره[2]. ويُلحظ في سياق هذه الآية قيامها على التعريف بالضمير لتخصيص النبيّ الكريم ﷺ بالخطاب. وتؤدّي الضمائر وظيفتها في التعريف لكونها وَحَدات لُغوية لها دلالات معيّنة، تحيل على عناصر من عالم المقام والخطاب، تؤلّف شبكة من العلاقات الدّاخليَّة والخارجيَّة[3].

وجاءت المعرفة بضمير المخاطب المستتر وجوبًا في فعل الأمر ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾، العائد على النبيّ الكريم وعلى أمّته من بعده، وفي توجيه الخطاب إليه من الله ﷻ دلالة عظيمة للتشريف والتثبيت، وداعٍ جليلٌ للاستجابة، وكذا عُرِّف (حكم) بإضافته إلى ﴿رَبِّكَ﴾، وبثّ وصف الربوبية دلالتي امتنان وتشريف على المستويين البشريّ والفرديّ، على النَّحو الآتي:

- **دلالة الامتنان على المستوى البشريّ بوجه عامّ:** تذكّر بأنّ «كلّ من في السّموات والأرض عبد له في قبضته، وتحت قهره؛ فاجتمعوا له بصفة

(١)﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ دراسة بلاغية : ٦٣٤ .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش : ٥/٨٥، ٨٨ .

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٢٣٠.

الربوبيّة... فالدِّين والشرع، والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهيّة. والخلق والإيجاد والتّدبير والفعل من صفة الرُّبوبيَّة. والجزاء بالثَّواب والعقاب والجنّة والنَّار من صفة المُلك... أثابهم وعاقبهم بمُلكه وعدله »[1].

-دلالة الامتنان على المستوى الفرديّ للنّبيّ الكريم ﷺ: حيث خُصّ بهذا الخطاب لاستحضار ما توحي به هذه المعرفة الجليلة التي حازت أقصى غايات الشَّرف من حسن التَّربية زيادة في التّعزية؛ مقتضية في هذا السِّياق التَّرغيب في الَّصبر بالتَّذكير بمعطيات صفة الرُّبوبيَّة المتعلّقة بالإحسان، فالرّبّ هو المريد للظُّروف التي أحاطت برسالة نبيِّه الكريم بإرادة كونيّة أو شرعيّة هيّأها لحكمة إلهيّة مدبّرة، ولو لم يردها لم تكن، فحُكمه إحسان منه إلى نبيّه ﷺ، وتدريب له، وترقية في معارج العبادات ومدارج الكمالات[2].

ويدلّ التعريف بالإضافة إلى كاف الخطاب على النوع الثاني من الامتنان الفرديّ الخاصّ بسيّد البشر، الذي يضفي عليه مزيد تشريف، ومزيد طمأنة؛ فالمطلوب الصّبر ﴿لِحُكۡمِ﴾ ربّه الذي خلقه وربّاه، وهو العالم بما يصلح له؛ فالصبر لأجل أنّ الحكم صادر عن ربّه المحسِن إليه بتشريفه بالرِّسالة، المتفضّل عليه بحُسن التَّربية، الذي اختصّه بنعمة الصَّبر على ضلال من حَكم بضلاله، وعلى كلّ ما ينوبه، وعلى نعمة لزوم الاستقامة في التعبُّد له بما أمهله به من الرِّفق إلى أن يأمره بالسَّيف، وأن يستعين على مُرّ الصَّبر باستحضار أنّ المربِّي الشفيق

(١) النهج الأسمى : ٤١٤/١ .

(٢) ينظر : نظم الدرر : ٣٧/١٩ .

يربّي بما يشاء من المُرّ والحلو بعلمه وبحكمته[1].

ولم تكن هذه المعاني لتتحقق لو قيل: لحكم الله، أو لحكم ربّ الناس، أو رب البشر أو ربّ الكون، ولم تكن كذلك لتظهر بهذه الأبعاد البلاغيَّة، لو سُلك التعريف بأل مع التقييد بالوصف نحو: فاصبر للحُكم الإلهيّ، أو للحُكم الربانيّ.

وورد الحكم صادرًا عن الله في (حوالي ٢٧ موضعًا)، ٢١ منها بوصف الإلهيَّة المطلَقة نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾[الأنعام]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ [يونس] ،وقوله:﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين] . وستة مواضع بصفة الرُّبوبيّة هي قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾[هود]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤﴾[النحل]، وقوله ﷻ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء]، والآيات الثلاثة التي جاءت موضع الدراسة.

ولكلّ من التعبيرين بالإلهيّة والرُّبوبيَّة دلالته الخاصّة التي تناسب السِّياق؛ فيأتي وصف الإلهيّة في مقام التَّعظيم والاعتراف بالملك الحقّ، وأنّه هو أحكم الحاكمين، وله الحكم المطلَق العدل، الذي يجري على كلّ الناس، وسيعترفون به جميعًا، ويوحِّدونه يوم القيامة، فعلى سبيل المثال ورد إسناد الحكم إلى الله

(١) ينظر : نظم الدرر : ١٥٤/٢١ .

بوصف الإلهيَّة المطلّقة في الشاهد الأوَّل في وصف وقوف الناس للحساب يوم القيامة حيث لا يسعهم جميعًا إلاّ الاعتراف بإلهيته، وجاء الشّاهد الثّاني في مقام تعظيم الله، وإثبات حقِّيته وحده في الحكم المطلَق بما يناسب عباده، ويحقِّق الخيريّة لرسله، وكذا في الإنكار على من يكذّب بيوم الحساب، وقد رأى من آيات الله الكثيرة ما يحصل به اليقين، ومن نعمه الجليلة ما يوجب الشُّكر، فهل يُعقل أن تقتضيَ حكمته أن يترك الخلق سدًى دون أمر ونهي، أو ثواب وعقاب؟ أم لا بدّ أن يعيدهم إلى مستقرّ إليه يقصدون، وغاية نحوها يَؤمّون (١).

بينما يناسب إسناد الحكم إلى الله بوصف الربوبيّة سياق الامتنان والعناية، وفي استعماله مع الدُّعاء والثناء بحقيّة الحكم دلالة على الافتقار مع الثِّقة بأنّ صفة الربوبيَّة العظيمة بما تحمله من دلالات العناية والعلم الواسع، تُطمِع العبد بالتطلُّع إلى الاستجابة الرَّبانيَّة لحُكْمِ ربٍّ حكيم، يقدِّر الخير للعبد مهما كان.

٥. دلالات الحروف:

لاستعمال الحروف في العربيّة دقائق وأسرارًا، « ولطائف يُتوصّل إليها بطول التأمُّل، وخصائص ينفرد بها من هُدي إليها، وكُشف له عنها. وهي على بُعد المرتقى، وعزّ المطلب، لَبِنةٌ قامت بها الحُجّة في القرآن، وظهرت وبَهرت، وانتهت إلى غاية لا يطمح إليها إلاّ من أجاد العَوم في هذه اللُّغة الشَّريفة، وصار نِطاسيًّا في معرفة جواهرها السَّنِيَّة، فهي لغة قوم تبارَوْا في الفصاحة

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : ٩٣٠ .

والبيان، وتنازعوا فيها قصَبَ الرِّهان»[1].

والمتدبّر في سياق الآية موضع الدِّراسة ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ في سياقاتها الثلاثة ينقدح أمامه تساؤل عن السرّ المعنويّ في تعليق الجارّ والمجرور: ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بفعل: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ بحرف الاختصاص دون حرف الاستعلاء، الذي ورد مع الصَّبر في مواضع كثيرة نحو قول الله تعالى في الثناء على عباده المؤمنين: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ [الحج:٣٥]؟

الجواب عنه: أنّ تعليق الصبر بـ ﴿عَلَىٰ﴾ فيه دلالة على الثَّبات والإصرار[2]، وتحمُّل سلسلة من المتاعب والمشاقّ الخارجية، ووردت مادة (صبر) (١٧مرة) في البيان القرآنيّ متعلِّقة بـ ﴿عَلَىٰ﴾، متضمّنة الصَّبر بنوعيه المحمود والمذموم، فيأتي الصَّبر متعلِّقًا بـ ﴿عَلَىٰ﴾ في الأمور الستَّة الآتية:

١. الصبر على الجهاد في القتال: الذي يدعو المؤمنون ربَّهم أن يحقِّقه لهم مع استمداد العون منه على الثبات، وتحمُّل المشاقّ في الحروب. وورد فيه شاهدان، أوّلهما جهاد قوم طالوت حين برزوا لجالوت وجنوده، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾[البقرة] ، والآخر في إيمان سَحرة فرعون بالله، حين توعّدهم فرعون بالقتل والتنكيل، فما كان منهم إلاّ استمداد العون من الله ﷻ بقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف].

٢. الصبر على الجهاد في الدعوة إلى الله: ومضاعفة التحمّل لصعوبات

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم : ١٢٣.

(٢) ينظر : السابق : ١٢١ .

المجاهدة في الأمر بالصلاة عمود الدين، وورد فيه شاهد واحد، هو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] .

٣.الصبر على المصائب: وورد فيه شاهدان، أوّلهما: في الثناء على المؤمنين، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج]، والآخر في دعوة لقمان عليه السلام لابنه مرغِّبًا إيَّاه في هذه الفضيلة الجليلة فيما حكاه عنه قول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

٤.الصبر على الأذى القوليّ والفعليّ: الذي ورد في ستّة شواهد، خمسة منها في إرشاد نبيّنا الكريم ﷺ إلى الصبر على الأذى القوليّ الذي يجابهه به قومه تكذيبًا واستهزاءً، وهي قول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴿٣٩﴾﴾[ق]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴿١٠﴾﴾ [المزمل] ، مع دعوته إلى التأسي بصبر أولي العزم من الرسل في قوله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤] . والشاهد السادس ورد في حوار الرُّسل مع أقوامهم، وتأكيد صبر الرُّسل على ما يلاقونه من الأذى الفعليّ، وجاء الصَّبر محكيًّا عنهم في قول الله تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢] . فهذه الأنواع الأربعة من الصبّر المحمود تحتاج مشقَّة وتكلُّفًا؛ لذا جاءت بـ﴿عَلَىٰ﴾؛

وسعى الإسلام إلى تهذيب النفس بها للرقيّ في معارج الطاعة والكمال، وأعدّ الله الأجر العظيم للمتحلّين بهذه الخليقة.

٥. الصبر المذموم المقترن بتحمّل المشاق في سبيل الكفر: وجاء متعلقًا بـ﴿عَلَىٰ﴾ في نوعين اثنين: أوّلهما: الصبر على عبادة الآلهة، وحُكي عن المشركين في قول الله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان] ، والنوع الآخر: الصبر على عذاب النار في قول الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة] .

٦. نفاد الصبر على الأشياء غير المألوفة: وهذه الخليقة ملازمة للجبلّة البشريّة، وقد ذكر العليم الخبير العجَلة التي جُبل عليها البشر في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]، داعيًا إلى تهذيب النفس بالصَّبر، لذا ورد في وصف انتفاء الصّبر أربعة شواهد، تعلّق فيها الصّبر بـ﴿عَلَىٰ﴾ للدّلالة على صعوبة التزامه، ومشقَّته على النفس. ورد الموضع الأوّل في قصّة كُفر قوم موسى عليه السلام بنعمة الرّزق بأطيب الطعام، وانتفاء صبرهم عليه؛ وشكر الله على نعمته، وذمّ حال استعجالهم طلب ما ألفوه من الأطعمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، والمواضع الثلاثة الباقية في قصَّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح حين بيّن له معرفته المسبَقة بانتفاء قدرته على الصَّبر على ما سيجابهه من العجائب؛ فيما حكاه عنه القرآن في ثلاثة مواضع من سورة الكهف، أوَّلها: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾، والموضع الثاني: حين شرع في توضيح تلك الأمور

العجيبة له قائلاً: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾، والموضع الثالث: خَتم به تلك التأويلات بقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ للتذكير بما كان عليه من نفاد الصَّبر، الذي حذره منه ابتداء لمعرفته بمشقّته عليه .

ومن المواضع السِّتَّة السابقة يتبيّن أنّ من شأن حرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ أن يتضمَّن معاني المشقة والشِّدّة، وتحمُّل الضَّرر من المؤثِّرات الخارجيَّة؛ أمَّا (اللام) فتفيد الاستحقاق والاختصاص، الذي يقع على النفس المؤمنة موقع التسليم والرِّضى؛ فهو حكم ثابت من لدن حكيم عليم، وينحصر في النفع والخيريَّة الروحيَّة للإنسان نفسه فيما كُتب من الحُكم، من نحو قول الله تعالى حكاية عن المؤمنين، وما تنطوي عليه نفوسهم من اليقين التام بالخيّر المقدّر لهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وبتلكم الروح المعنويّة العالية الطافحة بالثقة والتسليم والرِّضى يصعد المسلم في مراقي اليقين والإيمان، وهو ممتلئٌ تفاؤلاً بالخير الذي اختصّه الله به، فيُقدِم إقدام المحبِّ الواثق بما أُعدّ له من الأجر والمثوبة؛ فتنساب لام الاختصاص مع الدعوة إلى الصبر؛ للإشعار بأنّ هذا الحكم الذي أوجب الشرع الصبر لأجله هو خير للمؤمن، ونفع له، وليس فيه ما يسوء أو يضرّ[1]. وفي تقييده بلام الاختصاص، وتعليقه بالصبر، دلالة على ما يحمله من نفع كبير لسيّد البشر ﷺ؛ ليتلقَّي الحكم بالرِّضى والتسليم؛ فهو نفع له ولأمته من بعده؛ لذا تعلَّق الصَّبر بلام الاختصاص في الشواهد الثلاثة موضع الدراسة: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، وزاد عليها موضعان متعلِّقان باللام كذلك هما: قول الله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر]

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ٢٤٠-٢٤٢ .

، وقوله ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]، واقترن سياق تيك المواضع الخمسة جميعها بوصف الربوبية، لما يقتضيه من استحضار المِنَّة والفضل والعناية، واستشعار الخيَّرية فيما قدره الرحمن.

فتعلّقت المواضع الثلاثة بالصبر لحكم الله بوصف الربوبية، للدلالة على الصبر لحكمه القدريّ والدِّينيّ، بالمضي على ما أمره دون عائق أو مثبِّط [(١)]. واقترن الرابع بصفة الصَّبر لكلّ ما يأتي من الله ثقةً بما يقدّره، والخامس بالصبر للعبادة التي تحتاج من الإنسان صبرًا مضاعفًا لتحمّل ما تنطوي عليه من مشاقّ، يحتاج الإنسان إلى مزجها بالخيّرية وعِظم الأجر؛ لتحمّلها والسعادة بها، يختصّ الله بها الإنسان، ويجد في الصبر من أجلها لذّة عظيمة، تتعلّق بالنفس البشرية نفسها، وتحقّق لها الرضى والقبول[(٢)].

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : «عدي فعل (اصبر) باللام لتضمُّن الصبر معنى الخضوع والطاعة للأمر الشاقّ، وقد يعدّى بحرف ﴿عَلَىٰ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[المزمل: ١٠]، ومناسبة مقام الكلام تُرجِّح إحدى التعديتين» [(٣)].

ويمكن تلخيص الوجوه التي تحتملها اللام في ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ في ثلاثة أوجه، هي:

---

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : ٩٠٢ .

(٢) التضمين النحوي في القرآن الكريم : ١٢٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٤٠٣/٢٩ .

الأوّل: لام العاقبة[١]: **التي بمعنى إلى**، أي: اصبر إلى أن يحكم الله، وينتصر الحقّ على الباطل، وتعلو كلمة المحقّين على المبطلين [٢].

الثاني: لام التعليل: التي تبيّن العلّة أو السبب، يقال: لم خرجت؟ فيقال: لحكم فلان علي بالخروج. فيكون الصبر لحكم ربه؛ حيث يقوم بما أوجبه عليه؛ فعلة الصبر امتثال الأمر، فهو يصبر لأجل الحكم الذي يثق بخيّريته له مهما كان لأنه من ربّه ﷻ[٣].

الثالث: تضمين الصَّبر معنى الثبات، فكأنه يقول: فاثبت لحكم ربك. يقال: ثبت فلان لحمل قرنه[٤].

«فللام في هذا المكان موقع جامع، لا يفيد غير اللام مثله»[٥]؛ فلا تعارض بين المعاني الثلاثة المذكورة التي تحملها دلالة اللام في سياق آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ حيث أوثرت لتؤدّي مَهمّة جليلة ما كانت لتؤدّى بغيرها في الإيجاز واتساع آفاق المعنى، وهذا سرّ بديع من أسرار الحروف في البيان القرآنيّ المعجز.

فالخلاصة في تدبّر دلالات النظم في آية ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ظهور تآخي

---

(١) تسمى أيضًا لام الصيرورة ولام المآل، وتأتي لبيان ما يصير إليه الأمر، أو عاقبته وما يؤول إليه. ينظر : أوضح المسالك : ٢٩/٣، ومغني اللبيب : ٢٨٢.

(٢) ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٢٢٩/٢٨، والتفسير القرآني : ٥٨١/١٤ .

(٣) ينظر : مغني اللبيب : ٥٣، والتفسير الكبير للرازي : ٢٢٩/٢٨، والتحرير والتنوير : ٨٣/٢٧ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٢٢٩/٢٨.

(٥) التحرير والتنوير : ٨٣/٢٧ .

الأساليب واتساقها فيما بينها من حيث إيثار مجيئها في صورة إنشاء طلبي، تواءمت معه الألفاظ تقديمًا وتأخيرًا، وإطلاقًا وتقييدًا، وتعريفًا، وتخيّرًا بديعًا لحروف المعاني، وسُلكت هذه الدلالات جميعها في نظم محكم، معجز يخدم الغرض البلاغيّ الذي سيقت الآية من أجله.

الخاتمة

تناولت الدراسة آية: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بتحليل بلاغي في ضوء علم التناسب، وجاءت في تمهيد ومبحثين وخاتمة، كان المبحث الأول بعنوان: تناسب الآية مع السور التي تضمنتها، وتناول التناسب مع البعد الزماني والمكاني، ومع مقصود السورة، وفاتحتها، وسياقها الكلي، والسياق الجزئي للآية، وتناول المبحث الثاني دلالات اللفظ والنظم في الآية. وبعد استشراف بلاغتها، وتدبّر التناسب المعجز في سياقات السور التي وردت فيها، أحمد الله ﷻ على نعمه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وأقدم النتائج التي أكّدتها الدراسة، فيما يأتي:

١. وردت هذه الآية التي خوطب بها النبي الكريم ﷺ، في ثلاث سور من طوال المفصّل في القرآن هي الطور، والقلم، والإنسان، وهي من السور المكية، واختصت الآية بخواتيم السور الثلاث.

٢. تناولت الدراسة التناسب المعجز مع فاتحتها، وأسمائها، ومقاصدها، والسياق الكلي الذي ظهر فيه إعجاز التناسب مع سياقها، والتصريف في كل سياق وفق معطياته ومقاماته.

٣. تآخت الأساليب واتسقت فيما بينها في صورة إنشاء طلبي، تواءمت معه الألفاظ تقديمًا وتأخيرًا، وإطلاقًا وتقييدًا، وتعريفًا، وتخيّرًا بديعًا لحرف اللام الذي جمع معاني عدة ما كانت لتجتمع لغيره.

وتوصي الدراسة بتحليل آيات الصبر بطريقة تتناسب مع روح العصر الحديث وتقلّباته، وملهياته، وأحوج ما تقوم به أقسام اللغة العربية في الجامعات،

وتحليل مواضع التناسب في الآيات المتفقة الواردة في عدة سور بالنظر في التناسب المعجز مع سياقاتها المتنوعة، وما يتعلق بها من تصريف القول.

وأخيرًا أسأل الله التوفيق والسداد، وفهم كتابه على الوجه الأمثل، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين!

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة د.أحمد مختار عمر: منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ليبيا، ١٩٧٣م..

٤. أصوات اللغة، عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.

٥. اطرادات أسلوبية في الخطاب القرآني، رصد واستدراك، محمد إقبال عروي: دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٦. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د.عبد الحميد هنداوي: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م

٨. إعراب القرآن الكريم، أحمد الدعاس وزميلاه: دار المنير ودار الفارابي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٩. إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله سبحاني: دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي وبهامشه حاشية أبي الفضل الكازروني، تحقيق عبدالقادر حسونة، إشراف مكتب البحوث والدراسات: دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

١١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام، تحقيق يوسف البقاعي: دار الفكر للنشر والتوزيع.
١٢. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، راجعه وصححه بهيج غزاوي: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .
١٣. البديع، أبو العباس عبدالله بن المعتز، تحقيق د.محمد عبدالمنعم خفاجي: دار الجيل، بيروت.
١٤. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤١٠ هـ .
١٥. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ .
١٦. التوجيه الدلالي في القرآن الكريم، دراسة نحوية-بلاغية-تداولية، عبدالمجيد بن يحيى، وصورية حوري: رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الشهيد حمة لخضر، قسم اللغة والأدب، ١٤٣٩، ٢٠١٧م
١٧. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ .
١٨. التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل: دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .
١٩. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب: دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٠. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ هـ .
٢١. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ .
٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ .
٢٤. الجدول **في** إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تصنيف محمود صافي: دار الرشيد، دمشق، ومؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ .
٢٥. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه: د.سامية الدريدي، عالم الكتب، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، علق عليه محمود شاكر: دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
٢٧. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م،.
٢٨. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٩. شرح المفصل، ابن يعيش: عالم الكتب، بيروت .
٣٠. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٣١. علم مقاصد السور، د.محمد الربيعة: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٣٢. فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، د.محمد المبارك: دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ
٣٣. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، د. عبدالرحمن بن حبنكة الميداني: دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٣٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود الزمخشري: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي.
٣٥. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٦. لسان العرب، ابن منظور: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .
٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
٣٨. مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي، اعتنى به عبد المجيد طعمة الحلبي: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .
٤٠. المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد أبو شهبة: مكتبة السنة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
٤١. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، الجلال السيوطي، قرأه وتممه د.عبدالمحسن العسكر: مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٤٢. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، المسمى "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سُورة لِلمسمى، إبراهيم البقاعي: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧ م .
٤٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٤٤. المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: دار الفكر العربي، القاهرة،١٣٩٠هـ .
٤٥. معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي: مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
٤٦. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، عني به: د.محمد عوض مرعب، فاطمة أصلان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٤٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام، تحقيق د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله: دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م .
٤٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني: دار المعرفة, بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ
٤٩. مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، جمال الدين ابن النقيب، تحقيق د.زكريا سعيد علي: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٥٠. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، د.محمد الأمين الخضري: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
٥١. من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي، د.السيد خضر: دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٥٢. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي: نهضه مصر، القاهرة، ٢٠٠٥ .
٥٣. منهج السياق في فهم النص : د.عبدالرحمن بودرع: مكتبة الثقافة الدار البيضاء، ٢٠٠٨م.
٥٤. الموافقات، إبراهيم الشاطبي، تحقيق أبو عبيدة آل سلمان: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٥٥. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة تمام حسان: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.

٥٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٧. النكت والعيون، **تفسير** الماوردي، أبو الحسن علي الماوردي ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبدالمقصود: دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٨. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ .
٥٩. (وإنك لعلى خلق عظيم) دراسة بلاغية، د.محمد الدكان: مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، العدد ٢٦، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.
٦٠. الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، دراسة بلاغية في التراث العربي، سامي العجلان: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

θbt AlmSAdr wAlmrAjç
1. AlĂtqAn fy çlwm AlqrĀn، jlAl Aldyn AlsywTy، tHqyq mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym: AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktAb، 1394h-.
2. ĂrŝAd Alçql Alslym ĂlŶ mzAyA AlktAb Alkrym، Âbw Alsçwd Alçmady: dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، byrwt.
3. Âss çlm Allγħ، mArywbAy، trjmħ d.ÂHmd mxtAr çmr: mnŝwrAt jAmçħ TrAbls، klyħ Altrbyħ، lybyA، 1973m..
4. ÂSwAt Allγħ، çbdAlrHmn Âywb، mTbçħ AlkylAny، AlqAhrħ، AlTbçħ AlθAnyħ، 1968m.
5. ATrAdAt Âslwbyħ fy AlxTAb AlqrĀny، rSd wAstdrAk، mHmd ĂqbAl çrwy: dAr AlÂmAn، AlrbAT، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1417h1996 -m.
6. AlĂçjAz AlSrfy fy AlqrĀn Alkrym drAsħ nĎryħ tTbyqyħ AltwĎyf AlblAγy lSyγħ Alklmħ، d.çbd AlHmyd hndAwy: Almktbħ AlçSryħ، SydA، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1422h- .
7. ĂçjAz AlqrĀn wAlblAγħ Alnbwyħ، mSTfŶ SAdq AlrAfçy: dAr AlktAb Alçrby ، byrwt، AlTbçħ AlθAmnħ - 1425 h2005 - - m
8. ĂçrAb AlqrĀn Alkrym، ÂHmd AldçAs wzmylAh: dAr Almnyr wdAr AlfArAby، dmŝq، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1425h-.
9. ĂmçAn AlnĎr fy nĎAm AlĀy wAlswr، mHmd çnAyħ Allh sbHAny: dAr çmAr، çmĂn، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1424h2003-m.
10. ÂnwAr Altn-zyl wÂsrAr AltÂwyl، nASr Aldyn AlbyDAwy wbhAmŝh HAŝyħ Âby AlfDl AlkAzrwny، tHqyq çbdAlqAdr Hswnħ، ĂŝrAf mktb AlbHwθ wAldrAsAt: dAr Alfkr، byrwt، 1416h-.
11. ÂwDH AlmsAlk ĂlŶ Âlfyħ Abn mAlk، jmAl Aldyn Abn hŝAm، tHqyq ywsf AlbqAçy: dAr Alfkr llnŝr wAltwzyç.
12. AlĂyDAH fy çlwm AlblAγħ، AlxTyb Alqzwyny، rAjçh wSHHh bhyj γzAwy: dAr ĂHyA' Alçlwm، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1408h- .
13. Albdyç، Âbw AlçbAs çbdAllh bn Almçtz، tHqyq d.mHmd çbdAlmnçm xfAjy: dAr Aljyl، byrwt.
14. AlbrhAn fy tnAsb swr AlqrĀn، ÂHmd bn Alzbyr Alθqfy AlγrnATy، tHqyq: mHmd ŝçbAny: wzArħ AlÂwqAf wAlŝŵwn AlĂslAmyħ، Almγrb، 1410 h- .
15. AlbrhAn fy çlwm AlqrĀn، bdr Aldyn Alzrkŝy، tHqyq mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym: dAr ĂHyA' Alktb Alçrbyħ çysŶ AlbAbŶ AlHlby wŝrkAŶh، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1376h- .
16. Altwjyh AldlAly fy AlqrĀn Alkrym، drAsħ nHwyħ-blAγyħ-tdAwlyħ، çbdAlmjyd bn yHyŶ، wSwryħ Hwry: rsAlħ mAjstyr، AljzAŶr، jAmçħ Alŝhyd Hmħ lxDr، qsm Allγħ wAlÂdb، 1439، 2017m
17. AltHryr wAltnwyr، «tHryr AlmçnŶ Alsdyd wtnwyr Alçql Aljdyd mn tfsyr AlktAb Almjyd»: mHmd AlTAhr bn çAŝwr Altwnsy: AldAr Altwnsyħ llnŝr، twns: 1984 h- .

18. AltDmyn AlnHwy fy AlqrĀn Alkrym، mHmd ndym fADl: dAr AlzmAn، Almdynħ Alnbwyħ، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1426h- .
19. Altfsyr AlqrĀny llqrĀn، çbd Alkrym ywns AlxTyb: dAr Alfkr Alçrby، AlqAhrħ.
20. Altfsyr Alkbyr Âw mfAtyH Alγyb، fxr Aldyn AlrAzy: dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، byrwt، AlTbçħ AlθAlθħ ، 1420 h- .
21. Altfsyr Almysr، nxbħ mn ÂsAtðħ Altfsyr: mjmç Almlk fhd lTbAçħ AlmSHf Alŝryf، Almdynħ Alnbwyħ، AlTbçħ AlθAnyħ، 1430h2009 - - m
22. tysyr Alkrym AlrHmn fy tfsyr klAm AlmnAn، çbd AlrHmn Alsçdy، tHqyq çbd AlrHmn bn mçlA AllwyHq: mŵssħ AlrsAlħ، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1420h- .
23. jAmç AlbyAn fy tÂwyl AlqrĀn، mHmd bn jryr AlTbry، tHqyq ÂHmd ŝAkr: mŵssħ AlrsAlħ، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1420 h- .
24. Aljdwl fy ĂçrAb AlqrĀn wSrfh wbyAnh، tSnyf mHmwd SAfy: dAr Alrŝyd، dmŝq، wmŵssħ AlĂymAn، byrwt، AlTbçħ AlrAbçħ، 1418h- .
25. AlHjAj fy Alŝçr Alçrby Alqdym mn AljAhlyħ ĂlŶ Alqrn AlθAny llhjrħ، bnyth wÂsAlybh: d.sAmyħ Aldrydy، çAlm Alktb، AlÂrdn، AlTbçħ AlÂwlŶ، 2008m.
26. dlAŶl AlĂçjAz، çbd AlqAhr AljrjAny، çlq çlyh mHmwd ŝAkr: dAr Almdny، jdħ، AlTbçħ AlθAlθħ، 1413h-.
27. dlAlħ AlÂlfAĎ، ĂbrAhym Ânys: mktbħ AlÂnjlw، AlqAhrħ، AlTbçħ AlxAmsħ، 1984m،.
28. zAd Almsyr fy çlm Altfsyr، Âbw Alfrj jmAl Aldyn Abn Aljwzy: dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1423h-.
29. ŝrH AlmfSl، Abn yçyŝ: çAlm Alktb، byrwt .
30. AlTrAz lÂsrAr AlblAγħ wçlwm HqAŶq AlĂçjAz، yHyŶ bn Hmzħ Alçlwy: Almktbħ AlçSryħ، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1423 h- .
31. çlm mqASd Alswr، d.mHmd Alrbyçħ: AlryAD، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1432h-.
32. fqh Allγħ wxSAŶS Alçrbyħ، drAsħ tHlylyħ mqArnħ llklmħ Alçrbyħ، wçrD lmnhj Alçrbyħ AlÂSyl fy Altjdyd wAltwlyd، d.mHmd AlmbArk: dAr Alfkr، dmŝq، AlTbçħ AlθAnyħ، 1383h-
33. qwAçd Altdbr AlÂmθl lktAb Allh، d. çbdAlrHmn bn Hbnkħ AlmydAny: dAr Alqlm، dmŝq، AlTbçħ AlθAnyħ، 1996m.
34. AlkŝAf çn HqAŶq γwAmD Altnzyl، jAr Allh mHmwd Alzmxŝry: dAr AlktAb Alçrby، byrwt، AlTbçħ AlθAlθħ، 1407h-، AlktAb mðyl bHAŝyħ (AlAntSAf fymA tDmnh AlkŝAf) lAbn Almnyr AlĂskndry wtxryj ÂHAdyθ AlkŝAf llzylçy.

35. AlklyAt mçjm fy AlmSTlHAt wAlfrwq Allγwyħ، Âbw AlbqA' Alkfwy، tHqyq: çdnAn drwyŝ، wmHmd AlmSry، mŵssħ AlrsAlħ، byrwt.
36. lsAn Alçrb، Abn mnĎwr: dAr SAdr، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1997m .
37. AlmHrr Alwjyz fy tfsyr AlktAb Alçzyz، Abn çTyħ AlÂndlsy، tHqyq çbd AlslAm çbd AlŝAfy: dAr Alktb Alçlmyħ، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1422 h- .
38. mdArj AlsAlkyn byn mnAzl "ĂyAk nçbd wĂyAk nstçyn"، Abn qym Aljwzyħ، tHqyq mHmd AlmçtSm bAllh AlbγdAdy: dAr AlktAb Alçrby، byrwt، AlTbçħ AlθAlθħ، 1416h1996 /-m.
39. mdArk Altn-zyl wHqAŶq AltÂwyl، çbd Allh Alnsfy، AçtnŶ bh çbd Almjyd Tçmħ AlHlby: dAr Almçrfħ، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1421h- .
40. Almdxl ldrAsħ AlqrĀn Alkrym d. mHmd Âbw ŝhbħ: mktbħ Alsnħ، AlTbçħ AlθAnyħ، 1992m.
41. mrASd AlmTAlç fy tnAsb AlmqATç wAlmTAlç: bHθ fy AlçlAqAt byn mTAlç swr AlqrĀn wxwAtymhA، AljlAl AlsywTy، qrÂh wtmmh d.çbdAlmHsn Alçskr: mktbħ dAr AlmnhAj، AlryAD، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1426h-.
42. mSAçd AlnĎr llĂŝrAf çlŶ mqASd Alswr، AlmsmŶ "AlmqSd AlÂsmŶ fy mTAbqħ Asm kl śwrħ llmsmŶ، ĂbrAhym AlbqAçy: mktbħ AlmçArf، AlryAD، AlTbçħ AlÂwlŶ ، 1408 h1987 -، m .
43. mçtrk AlÂqrAn fy ĂçjAz AlqrĀn، jlAl Aldyn AlsywTy: dAr Alktb Alçlmyħ ، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ 1408 h- .
44. Almçjzħ AlkbrŶ AlqrĀn، mHmd Âbw zhrħ: dAr Alfkr Alçrby، AlqAhrħ،1390h- .
45. mçjm çlm Allγħ AlnĎry، mHmd çly Alxwly: mktbħ lbnAn، byrwt، 1982m.
46. mçjm mqAyys Allγħ، Âbw AlHsyn ÂHmd bn fArs، çny bh: d.mHmd çwD mrçb، fATmħ ÂSlAn: dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1422h- .
47. mγny Allbyb çn ktb AlÂçAryb، jmAl Aldyn Abn hŝAm، tHqyq d.mAzn AlmbArk، wmHmd çly Hmd Allh: dAr Alfkr، dmŝq، AlTbçħ AlsAdsħ، 1985m .
48. AlmfrdAt fy γryb AlqrĀn، AlrAγb AlÂSfhAny، tHqyq mHmd xlyl çytAny: dAr Almçrfħ, byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1418h-
49. mqdmħ tfsyr Abn Alnqyb fy çlm AlbyAn wAlmç-Any wAlbdyç wĂçj-Az AlqrĀn، jm-Al Aldyn Abn Alnqyb، tHqyq d.zkryA sçyd çly: mktbħ AlxAnjy، AlqAhrħ، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1415h-.

50. mn ÂsrAr Hrwf Aljr fy Alðkr AlHkym، d.mHmd AlÂmyn AlxDry: mktbħ whbħ، AlqAhrħ، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1409h- .
51. mn AlĂçjAz Allγwy llqrĀn Alkrym drAsħ fy ĎAhrħ AltrAdf AllfĎy، d.Alsyd xDr: dAr AlwfA'، AlqAhrħ، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1422h2001 ،-m.
52. mn blAγħ AlqrĀn، ÂHmd ÂHmd bdwy: nhDh mSr، AlqAhrħ، 2005 .
53. mnhj AlsyAq fy fhm AlnS : d.çbdAlrHmn bwdrç: mktbħ AlθqAfħ AldAr AlbyDA'، 2008m.
54. AlmwAfqAt، ĂbrAhym AlŝATby، tHqyq Âbw çbydħ Āl slmAn: dAr Abn çfAn، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1417h1997 /-m.
55. AlnS wAlxTAb wAlĂjrA'، rwbrt dy bw jrAnd، trjmħ tmAm HsAn: çAlm Alktb، AlqAhrħ، AlTbçħ AlÂwlŶ.
56. nĎm Aldrr fy tnAsb AlĀyAt wAlswr، ĂbrAhym bn çmr AlbqAçy: dAr AlktAb AlĂslAmy، AlqAhrħ.
57. Alnkt wAlçywn، tfsyr AlmAwrdy، Âbw AlHsn çly AlmAwrdy ، rAjçh wçlq çlyh Alsyd bn çbdAlmqSwd: dAr Alktb Alçlmyħ، byrwt.
58. Alnhj AlÂsmŶ fy ŝrH ÂsmA' Allh AlHsnŶ، mHmd Alnjdy: mktbħ AlĂmAm Alðhby، Alkwyt، AlTbçħ AlxAmsħ، 1423h- .
59. (wĂnk lçlŶ xlq çĎym) drAsħ blAγyħ، d.mHmd AldkAn: mjlħ jAmçħ AlTAŶf llçlwm AlĂnsAnyħ، Alçdd 26، 1442h2021 ،-m.
60. AlwHdħ AlsyAqyħ llswrħ fy AldrAsAt AlqrĀnyħ fy Alqrnyn AlθAmn wAltAsç Alhjryyn، drAsħ blAγyħ fy AltrAθ Alçrby، sAmy AlçjlAn: mTAbç jAmçħ AlĂmAm mHmd bn sçwd AlĂslAmyħ، AlryAD، AlTbçħ AlÂwlŶ، 1430h-.

***